# القيم الروحية والرؤية الوطنية في الطريقة الشيخية

الأبيض سيدي الشيخ 2011

منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف – الجزائر

# توطئـة

د. بو عبد الله غلام الله
وزير الشؤون الدينية والأوقاف

فَإِنَّنِي عَبْدُ القَادِرِ بنُ مُحَمَّـدٍ سَلِيلُ أَبِي الرَّبِيعِ نَجْلُ السَّمَاحَةِ
وَلاَ فخْرَ غَيْرَ أَنِي عَبْدٌ لِقَادِرٍ وَأَحْمَدُ تَاُج الرُّسُلِ أَقْوَى وَسِيلَةِ
بِالإِتِبَاعِ نِلْنَا المَرَاتِبَ والعُلاَ فَبِالله مَا حِدْنا عَنِ شَرْعٍ وَسُنَةِ
وَمُنْذُ عَقِلْنَا سَدَّدَ الله سَعْيَنَـا وَمَا زِلْنَا مُقْتَفِينَ نَهْجَ الشَّرِيعَـةِ

هي أبيات من نظم «الياقوتة» التي ما زالت تلألئ في جلسات الذكر وتقرأها الأجيال وتستلهم معانيها، فقد كان الشيخ عبد القادر بن محمد( ت 1025هـ 1616م) فرعا من شجرة طيبة أتت أكلها في كل حين، فأصلها النسبي – الطيني يعود إلى سيدنا أبي بكر الصديق وإلى أجداد عرفوا بالعلم والزهد، فقد ذكر صاحب «البستان في ذكر علماء تلمسـان» أن جدّ سيـدي الشيخ سليمان كتب وألفّ، منها «أرجوزة» في الفقه خاصة بالنساء، كما أن سيدي معمر بن سليمان من الأجداد الأولين للبوبكريين استقر بمدينة تلمسان وهو الشيـخ معمـر بن سليمان العالية، ويرجحّ المؤرخون أن ضريحه بهذه المدينة، ويتعرض مؤلف كتاب: Un soufi algérien sidi cheik حمزة بوبكر، إلى معاناة البوبكريين في

رحلــة طويلة من الإسكندرية إلى تونس فتلمسان فغرناطة ففكيك، واستقر بهم المقام في تنكرت «الأبيض سيدي الشيخ»، وقد عرف عن هذه العائلة الروحية – العلمية الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم وعلوم الدين وتلقين الأذكار، فظهر الشيخ أحمـد المجدوب ولآلة صفية وسيدي السّباح وخلفه، وتجسّد هذا الميراث الروحي والجهادي في شخصية مقاومة الشيخ بوعمامة الذي أعلن الجهاد سنة 1881، فكانت مقاومة شرسة للإستطان واستطاع أن يوحّد الجزائريين نحو هدف واحد وهو تحرير هذه الأرض، ومثلت قصائد الشاعر محمد بلخير التي جمعها واعتنى بها الدكتور بوعلام بسايح شوقا وفناء في محبّة سيدي الشيخ بوعمامة، وهو شوق أيضا نحو الاستشهاد في سبيل الله والوطن، إنها المجاهدة والرياضة التي ورثناها عن مشايخنا ولا تعني العزلة والانقطاع عن الحياة.

إن تصوف سيدي الشيخ لم يمنعه من الدفاع عن الثغور الإسلامية بعد سقوط غرناطة وتكالب الاحتلال على شواطئنا، فقد قاوم وترك جيلا من العلماء والمتصوفة واصلوا طريقه في التربية والحفاظ على هويتنا الوطنية التي علينا اليوم تعليمها وترسيخها في نفوس شبابنا، واستثمار المعارف وتكنولوجيا الاتصال في تعميمها وتبسيط جوهرها من مالكية وإباضية تراعي الخلاف بتسامح ولا تراه مدعاة للفرقة والنزاع وجنيدية شاذلية تنزع نحو البساطة وتربية النفوس والذوق والجمال.

إن هذا اللقاء يأتي في غمار سنة مُفعمة بنشاط علمي بتلمسان نُساهم فيه برؤية وطنية علمية متجددة، وفي انتظار عام قادم نحتفل فيه بمرور خمسين سنة على استقلال الجزائر، وسيكون لنا فيه أيضا جولات من

ملتقيات علمية وندوات ونشر كتب عن علمائنا ومفكرينا وبعث نصوص تراثية نراها حصنا أمنيا ثقافيا لهويتنا ووحدتنا وضماناً لمستقبل مزدهر في ظلّ رعاية فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة الذي نسدي له الشكر على حرصه البالغ الأهمية لنشاط قطاع الشؤون الدينية والأوقاف ودعمه المتواصل.

وحرصا منا على استمرار جواهر «الياقوتة» في إشعاعها الرباني ننشرها مع بحوث قدمت في ملتقى وطني بالأبيض سيدي الشيخ في 16-17 نوفمبر2011، وهي بحوث حاول أصحابها الربط بين التصوف الحقيقي والمقاومة في تاريخنا الوطني.

والله ولي التوفيق

# كلمة السيد: والي ولاية البيض

معالي السيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف،

اسمحوا لي في البداية أن أرحب بكم باسم ولاية البيض المجاهدة وباسم مدينة الأبيض سيدي الشيخ رمز النضال والمقاومة.

كما أرحب بأعضاء الوفد المرافق لكم وأخص بالذكر السيد الوزير عبد القادر حميتو، السيد بن جبارة الدين نائب رئيس المجلس الدستوري، السيد صديقي عن مسجد باريس وأرحب أيضا بمشايخنا وبدكاترتنا وبأئمتنا وبكل الحضور.

إننا نستقبلكم اليوم في هذه المدينة المضيافة بمناسبة انعقاد الملتقى الوطني الأول حول الطريقة الشيخية الذي ينظم تحت الرعاية السامية لفخامة السيد رئيس الجمهورية وتحت إشرافكم وهي مناسبة ستسمح بالتعريف برمز من رموز هذه الولاية وأحد أعلامها ومتصوفيها ألا وهو سيدي عبد القادر بن محمد الملقب بسيدي الشيخ الذي يعتبر عالما وفقيها كان من أشهر علماء عصره، كرمه الأمراء ومجده العلماء ونزل كريما عزيزا عند كل من عرف قدره ومكانته.

إن تاريخ هذه المنطقة التي تحمل اسمه كله نضال ومقاومة ضد المستعمر وكله رفع مستمر لراية الانتماء الحضاري والتمسك عبر القرون بالقيم الدينية السمحاء والتقاليد المكرمة للهوية.

وإذا أتمنى لهذا الملتقى كل التوفيق والنجاح أجدد لكم ولأعضاء الوفد المرافق لكم وكل ضيوفنا الكرام أسمى عبارات الترحيب راجيا لكم إقامة طيبة بيننا وشكرا.

# كلمة السيد: مدير الشؤون الدينية والأوقات لولاية البيض

الحاج محمد الأمير عبد القادر

الصلاة والسلام على أشرف المخلوقات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

السيد معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف.

السيد والي ولاية البيض.

السيد رئيس المجلس الشعبي الولائي.

السيد ممثل عميد مسجد باريس.

السادة أعضاء المجلس بغرفتيه.

السادة السلطات العسكرية والمدنية.

السادة الدكاترة والأساتذة المحاضرون.

السادة أئمة المساجد المحترمون.

السادة شيوخ الزوايا الأفاضل.

السادة أسرة الإعلام المرئية والمكتوبة.

السادة الحضور.

أيها الجمع المبارك الكريم.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أهلا ومرحبا بكم في هذه الربوع ربوع سكان الأبيض سيدي الشيخ سيدي معالي الوزير:

لقد سعدت ولاية البيض بزيارتكم الميمونة وأنتم تتفقدون مشاريع الخير ومكتسبات الدين والوطن خدمة للعلم والمعرفة ونشرا للتنوير من خلال وقوفكم بالتدشين لصرح الثقافة الإسلامية وافتتاح ملتقى الطريقة الشيخية إحياءا لتراث الصوفية في مجال التربية الروحية والدور الاجتماعي والجهادي إبان الاحتلال الغاشم لوطننا العزيز ومن أبرز هذه الطرق التي قارعت الاستعمار بأساليبه المتنوعة «الطريقة البوشيخية» فأحيت النفوس بالأذكار وشحنت القلوب بمعادات الاستعمار وأمدت الفقراء بالعون والمدد للثبات والصمود في الجبهة الاجتماعية فأحيت ما اندثر من قيم الإسلام الصحيحة وعلومه الصريحة فخرجت من مدرستها الأبطال والعلماء الأخيار والمريدين الأبرار، فهنيئا لولاية البيض بهذا الملتقى الهادف إلى إحياء تراثنا الحضاري وإبراز دور أسلافنا المنعمين ليقتدي الخلف بالسلف على النهج القويم.

إن المتمعن في منظومة الياقوتة وما حوت من أذكار وأوراد يدرك جيدا الهدف المنشود والمستوى المعهود لدى أولئك العلماء والمشايخ على مر العصور والأجيال.

أيها الإخوة الكرام إننا بحاجة ماسة إلى عقد مثل هذه الملتقيات لنتذكر فنقتدي ونتزود فنهتدي ونستنير بأنوار أولئك الذين أنعم الله عليهم من رجالات الطريقة البوشيخية علما وعملا فنتحصن من العواصف الواردة

فنتمسك بأصالتنا وحضارتنا وأولى الناس بهذه المهمة هم الخلف من أحفاد ومريدي مؤسس الطريقة ومجلي الحقيقة سيدي عبد القادر بن محمد المعروف بسيدي الشيخ طيب الله ثراه وبلل بالرحمة ذكراه.

ختاما نرحب بالضيوف الكرام والأئمة الأعلام والمفكرين الراسخين في هذا الميدان فأهلا حللتم وسهلا رحلتم طبتم وطاب مسعاكم وتبوأتم من الجنة مقعدا.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

# الطريقة الشيخية أصولها، أذكارها، انتشارها

أ.د خليفي عبدالقادر – جامعة وهران

## 01 – التعريف بها[1]:

الشيخية فرع من الطريقة الشاذلية، ظهرت على يد الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة، المعروف بـ «سيدي الشيخ» دفين مدينة الابيض سيدي الشيخ بولاية البَيَّضْ سنة 1025هـ/ 1616م، حين كانت الجزائر تحت الحكم العثماني، وهو العهد الذي شهد ازدهارا للحركة الطرقية بسبب ما كان يُكِنه حكامه من احترام وتبجيل للطرق الصوفية عامة، مما سهل انتشارها واكتسابها مكانة سامية بين الأوساط الشعبية، وهو ما سيؤهل الطرق الصوفية عامة لتزعم المقاومات الجهادية ضد الاحتلال الفرنسي حين غزى البلاد الجزائرية ابتداء من سنة 1830م.

وقد عُرف خلف مؤسس الطريقة بـ «أولاد سيدي الشيخ»، وهم من مجموعة «البوبكريين»، أي من نسل أبي بكر الصديق، [2] دخل أسلافهم

(1) ملخص كتاب صدر للمؤلف الباحث عبدالقادر خليفي عن المجلس االإسلامي الأعلى الجزائر .

(2) أحمد بن محمد بن أبي القاسم العشماوي، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب، المطبعة الخلدونية بتلمسان 1961م/ 1381هـ، ص: 298.

الجزائر حوالي القرن الرابع عشر الميلادي، تحت زعامة سيدي معمر بن سليمان العالية، واستقروا بواد القليعة قرب ارْبَوَاتْ الواقعة شمالي الأبيض سيدي الشيخ، وقد رحب بنو عامر، سكان البلاد آنذاك، بهؤلاء القادمين الجدد، بعد أن عرفوا نسبهم وحسبهم.

برز من خَلَف سيدي معمر بعض الوجوه المشهورة والرجال الأتقياء كسيدي سليمان بن بوسماحة الذي ذكره بن مريم في بستانه، والذي دَرَس عند أحمد بن يوسف الملياني، وهو من «مذابيحه السبعة»، كما هو مذكور في الروايات الموروثة. تلقى العلم بغرناطة قبل سقوطها سنة 1492م بيد الإسبان، كما دَرَّس بفاس ومراكش ثم استقر بمدينة فكيك ودرّس بمسجدها العتيق، وتوفي ببلدة بني ونيف سنة 946هـ/ 1539م. وظهر بعده حفيده عبد القادر بن محمد كعالم متصوف.

تنتشر الطريقة الشيخية بصفة خاصة في المنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر وفي شرقي المغرب الأقصى، حيث تتواجد في هذه الجهات طوائف عديدة من قبائل أولاد سيدي الشيخ ومن القبائل الموالية لهم، جزائرية كانت أم مغربية.

**02 -شيخها المؤسس:**

هو عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة، ولد حوالي سنة 940هـ/ 1533م، تعلم مبادئ اللغة العربية والفقه والقرآن الكريم على يد فقهاء من بني عمومته مثل عمه أبي بكر وابن عم أبيه سليمان بن أحمد، ودرَس المذهب الصوفي على يد الحاج بن عامر شمالي ارْبَواتْ، وعلى يد الشيخ عبد الجبار بفكيك والشيخ أحمد بن موسى الكرزازي والشيخ محمد بن عبد الرحمن السهلي.

استقر ببلدة فكيك في المكان المسمى السهلي، حيث اهتم بتكوين المريدين، بعد أن أنشأ زاوية تدعى «العُباد» تيمنا بعُباد سيدي بومدين بتلمسان، ولم ينس شيخه محمد بن عبد الرحمن، بل داوم على زيارته احتراما له واعترافا بفضلِ مَنْ عَلَّمَه. كما أنشأ زاوية في بلدة مغرار التحتاني، حيث سيستقر الشيخ بوعمامة. وتحول بعد ذلك إلى رحالة يتنقل من مكان إلى آخر، فيزوره المريدون حيثما وجدوه.

وقد قام سيدي الشيخ (عبد القادر بن محمد) بأسفار كثيرة سواء في الجزائر أو في المغرب، فزار فاس وتلمسان ووهران، وزار قبائل بني عامر في منطقة سيدي بلعباس، وزار عيْن ماضي بالقرب من جبل العمور، وزار قورارة حيث الحاج بلقاسم مؤسس الزاوية، التي تحمل الاسم نفسه وهي غير بعيدة عن مدينة تيميمون، وزار توات وتافيلالت والجزائر.

وتعرض لنقد فقهاء بلدة فكيك الذين اتهموه بالبدعة، وحَدَث بين الطرفين ما هو معروف من صراع بين أهل الظاهر وأهل الباطن، كما ناصَبه العداء أبومحلي الفيلالي صاحب زاوية بني عباس (1593م) الذي ألف حول ذلك الصراع عدة كتب؛ إلا أن أبا محلي هذا كان صاحب أهداف سياسية جعلته يدَّعي أنه المهدي الفاطمي المنتظر، والتفت حوله جموع عديدة، استطاع بواسطتها الاستيلاء على درعة وسجلماسة، ولكنه قتل على يد قوات السلطان السعدي مولاي زيدان سنة 1022هـ/ 1613م.

وبعد وفاة سيدي الشيخ ببلدة سْتِيتَنْ سنة 1616م، نقل جثمانه ليدفن بالحاسي الأبيض الذي سيحمل منذ هذا التاريخ اسم «الأبيض سيدي الشيخ»؛ حيث أنشأ خلفه زاوية في هذه البلدة. وقد اكتسبت هذه الزاوية

شهرة واسعة باعتبارها زاوية أصيلة للطريقة الشيخية، وأصبحت مقصدا للراغبين في الانتساب إليها.

لقد كان سيدي الشيخ ذا صيت ونفوذ واسعين، شملا مناطق بعيدة، وتبعته معظم القبائل في الجنوب الغربي الجزائري وجنوب شرقي المغرب. ويعترف أبو محلي السابق الذكر أن صيت الشيخ عبد القادر بن محمد قد بلغ الآفاق إلى قبائل بني يزناسن وإلى الأغواط وغيرها. وتبعا لهذا النفوذ كان السعديون بالمغرب يسالمونه وربما كان بينهما تراض ضمني.

وقد جمع سيدي الشيخ بين نسبه المرابط (البوبكري) وبين علمه وتقواه وتزعمه للطريقة الصوفية، مما أكسبه مكانة بارزة بين سكان المنطقة الجنوبية الغربية وفي جهات أخرى غيرها، فأصبح الشيخ ملجأ للمظلوم ومستشارا وهاديا إلى الخير والوئام لمختلف المتخاصمين، يستقبل زواره ويتدخل لرص الصفوف وحل المنازعات، ويدعو للجميع بالفوز والفلاح.[1] وارتفع بذلك شأن العائلة البوبكرية كلها، فأصبحت لها قوة عجيبة ونفوذ واسعين. يقول عن ذلك أحد الكتاب الفرنسيين في فترة الاحتلال الفرنسي (Voinot (L): Confréries et Zaouia au-Maroc): «الشيخية أقرب إلى تجمع لخدمة أرستقراطية سياسية ودينية وحربية منها إلى طريقة عادية.»

أوصى سيدي الشيخ خلفه ومريديه باتباع الطريقة الشاذلية، وألف «الياقوتة» وهي، عبارة عن قصيدة منظومة يبرز فيها تجربته الصوفية

(1) ويطلق أتباع الطريقة ومحبوها عدة ألقاب على سيدي الشيخ منها: سيدي الشيخ الكبير، وولد بوبكر الصديق، وبوسْماحي والقَرْمامي والعارَف والمْرابَط وبوعْمامة ورَحْل البيضا ومولْ الفَرْعَة ومول القباب سَبْعة... ولكل منها دلالة معينة.

ومِعْراجَه الروحي وهي تتكون من 178 بيتا، والتي يبتدئها بقوله:

بَـدَأْتُ بِحَمْدِ اللّهِ قَصْـداً لِنَجْحِ ما ... أرُومُ مِن اسْـتِفْتاحِ نَظْـمِ القَصِيدَةِ

وأهْـدِي صَـلاةً ثـمّ أزْكَـى تَحِيَّـةٍ ... عَلى المُجْتبَى الهادي شَفيعَ البَرِيَّة

صـلاةً وتَسْـليماً كَثِيـراً مُجَـدّداً ... إحاطَةَ عِلْمِ اللـهِ فـي كُـلِّ لَحْظَةِ.

**03 – سندها:**

لكل طريقة صوفية سند يربطها بالسلف الصالح وبعهد النبوة. وتتبع الشيخية المنهج نفسه، يقول الشيخ عبد الحاكم، أحد حَفدة سيدي الشيخ وزعيم الطريقة الشيخية في الفترة ما بين (1935 و1966)، في إحدى مخطوطاته ما يلي: «..فإن الطريقة التي هي منسوبة إليه (سيدي الشيخ) رضي الله عنه المستمدة من شيوخ عديدين، المنتهين في رياسة هذا الفن. وقد أخذ عنهم رضي الله عنه حسبما نوه به، وبمراتبهم السامية، وشهرتهم تغني عن طول تعريفهم، وهي طريقة خلوتية بوبكرية، ولكن لها اتصال وفروع شذولية. وأن هذا الأستاذ له شهرة وذكر وصيت ذائع في أركان المعمورة، وقد كان الشيخ مربي المبتدئين وإمام السالكين، وترك تلامذة وفقراء لا يحصي عددهم إلا الله....»

فسند الطريقة، كما ذكرنا، هو الطريقة الشاذلية التي تنسب إلى أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب. ولد أبو الحسن الشاذلي بالمغرب الأقصى سنة 593هـ/ 1196م، زار المشرق ثم عاد إلى البلاد المغاربية ليستقر في بلدة «شاذلة» بتونس. قضى عمره في العبادة وطلب العلم ابتغاء الزهد،

والتف حوله أناس يبغون الفائدة الأخروية، خاصة بعد استقراره بتونس ثم مصر بعد ذلك، وتوفي سنة 656هـ/ 1258م وهو في طريقه إلى الحج.

يفتتح «سيدي الشيخ» سلسلة أشياخه، في منظومته المعروفة بـ «الياقوتة»، بشيخه المباشر محمد بن عبد الرحمن صاحب زاوية السهلي ببوذنيب والمتوفي حوالي سنة 990هـ/ 1582م، ثم يواصل بعد ذلك ذكر أقطاب «السلسلة الذهبية» في هذه القصيدة، إلى أن ينتهي بها إلى نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى جبريل عن المولى سبحانه، بحسب ما هو جارٍ لدى كل الطرق الصوفية.

ويبدأ سيدي الشيخ سند طريقته كالتالي:

فَشَيْخُ الشيوخ ذاكَ شيخُ زَمَانِنا إلَيْهِ انْتَهَتْ فُنُونُ هَذي الطرِيقَةِ
فَمِنْ شَيْخِنا عَنْ شَيْخِهِ عَنْ شُيُوخِهِ تَسَلْسَلَتِ الأشْياخُ أهْلُ العِنايَـةِ
فَأوَّلُهُمْ في الذِّكْرِ شَمْسُ وُجودِنا وقُطْـبُ نُهَى عُلُـومِنا اللدُنِيَّةِ
أبُوعَابِدِ الإلَهِ يُسَـمَّى مَحَمَّـداً إلى عابِدِ الرّحْمَنِ يُعْزَى بِنِسْبَةِ.

وسلسلة أشياخه هي كالتالي: محمد بن عبد الرحمن السهلي – أحمد بن يوسف الراشدي المليانى – أحمد زروق البرنوسي الفاسي– أحمد بن عقبة الحضرمي – أبو العباس الحسن القرافي – تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري – أبو عباس أحمد المرسي – أبو الحسن الشاذلي – عبد السلام بن مشيش – المدني أبو يزيد عبد الرحمن العطار – أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن أحمد الخزاعي– أبو مدين شعيب الحسين الأندلسي – أبو يعزى يلنر بن ميمون – أبو الحسن ابن حرزهم – أبو بكر

يحي بن العربي الأشبيلي- أبو حامد الغزالي- أبو المعالي الجويني- أبو طالب المكي- أبو محمد الجريري- أبو القاسم الجنيد- السري السقطي بن المغلس- معروف الكَرْخي- داوود الطائي- الحبيب العجمي البصري-الحسن البصري- علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، عن النبي محمد الهادي صلى الله عليه وسلم.

**04 -أذكارها:**

للمقاديم والمريدين اتصال دائم بالزاوية لتجديد الذكر والحضرة وترديد الياقوتة والهَيْللة، ويتم في هذه اللقاءات تعيين أو تغيير المقاديم بحضور شيخ الزاوية، وتوحيد الذكر بين الأتباع عامة. ويشمل الذكر ما يلي:

-ترديد الفاتحة ثلاث مرات.

-ترديد الشهادة ثلاثمائة مرة.

-ترديد الاستغفار مائة مرة.

-ترديد الصلاة على النبي مائة مرة.

-ترديد الوحدانية ألف مرة.

-حفظ قصيدة الجلالة (ضمن الحَضْرة). وبعد كل بيت من الجلالة، وخلال الحضرة يردد كل مريد، بصوت عال، كلمة «الله» اثنى عشر مرة: الله الله الله.

وللطريقة نظام خاص يتعلق بأوصاف وأخلاق المقدم والفقراء، وعن اتخاذ السبحة إلى جانب أدب الذكر وأدب الحضرة وحزب الفلاح، ومختلف أنواع العقوبات ( اِنْصَافْ) التي تسلط على الفقراء في حالات خرق التعاليم المتعارَف عليها (للتوسع أنظر كتاب «الطريقة الشيخية»

لعبد القادر خليفي 2006-2010. وكتاب «الطريقة الشيخية الشاذلية السند والأذكار» الصادر عن الزاوية البوعمامية الشيخية بعين بني مطهر سنة 2007).

**05 -المنهج التربوي من خلال وصية الشيخ بوعمامة:**

ترك الشيخ بوعمامة وصية لابنه وخليفته على الطريقة من بعده سيدي الطيب، تشمل مواضيع مختلفة، منها أنه يوصي مريدي الطريقة بالحفاظ على ما تركه من ضروب الأوراد وأنواع الأذكار، ومختلف الأدعية والابتهالات وترديدها في أكثر الأوقات، وباتباع طريق الهدى والتقى، وتلاوة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك القيل والقال وعدم الخوض في الفساد والظلم واتباع الصدق والمحبة والعهد الوثيق. وأن يتكلفوا المجاهدة والمكابدة في سبيل أداء الطاعات والبعد عن الشهوات، ليصلوا بذلك إلى السعادة. والسعادة الحقيقية هي معرفة الله، ومعرفة ما يجب من أجله...

وهدف الشيخ من تلك الوصية، بالإضافة إلى تعيين خليفته سيدي الطيب، هو تمتين العلاقة بين أفراد الجماعة، والعمل على استمرارية الطريقة، لأن إقامة حلقات الذكر المنتظمة هي أهم وسيلة لتحقيق هذا الهدف. فالشيخ يقوم مقام الحكيم، صاحب الرأي السديد. والحكمة على لسان الصوفي متوقدة جذابة، تأخذ وقودها من الضمائر والقلوب، خاصة وأن الناس تَعتبر الصوفية مظنة للخير والرشد، وينتظرون منهم كل الفضل. يقول أحد الباحثين في التصوف(زكي مبارك): «وقد نظرت فرأيت للصوفية رسائل كثيرة تجري مجرى النصح، وتعين على مقاصدهم في الحياة، وتبين إلـى أي حد كانوا يهتمون بالأخلاق.»

ويوصي الشيخ الطيب بن بوعمامة ابنه عبد الحاكم في إحدى كتاباته بفعل الخيرات وصفاء القلب والتجاوز عن هفوات الخلق والصبر على المكاره وبخاصة إذا صدرت من قبل الفقراء، وعدم محاسبتهم على كل كبيرة وصغيرة والرأفة بهم والعطف عليهم.

وهكذا يركز رجال الصوفية على العلاقات الإنسانية، لأن الدين المعاملة، وأن من آداب الصوفية حسن العِشرة مع الإخوان وملازمة الإيثار والمعاونة في أمر الدنيا والدين.

**06 -زواياها:**

الزاوية عبارة عن بناية قد تجاور أحد أضرحة أعلام الطريقة أو مستقلة بنفسها، وتعتبر ملجأ للزوار والفقراء وعابري السبيل، يتناولون فيها حاجاتهم من مأكل ومشرب ومبيت. وقد تتعدد وظائف الزاوية فتصبح ملجأ ومدرسة في آن واحد، وذلك تبعا لمداخيلها ولأهمية من يقوم بتسييرها ودوره فيها.

وبالإضافة إلى الزاوية المركزية المتواجدة بالابيض سيدي الشيخ؛ هناك زوايا أخرى عديدة منتشرة حيث يتواجد مريدو الطريقة الشيخية؛ منها زاوية الموحدين بولاية البيض، وزاوية عين السخونة بولاية سعيدة، وزاوية متليلي عند الشعانبة، وزاوية سيدي سليمان بن بوسماحة في بني ونيف، وزاوية عين الصفراء، وزاوية قلعة الشيخ بوعمامة (مغرار التحتاني سابقا)، وزاوية عين بني مطهر بالمغرب الأقصى وغيرها...

إلا أن الاختلاف بائن بين الزوايا المختلفة، حيث هناك زوايا لا تهتم سوى بالإطعام والإيواء وهناك أخرى تعطي الأوراد وتكوّن المريدين، إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم. ويعود هذا الاختلاف إلى الدرجة التي

تحتلها الزاوية من جهة، وإلى شخصية الشيخ أو المقدم المتواجد هنا أوهناك ومدى مبادراته وتضحياته في سبيل نشر الطريقة من جهة أخرى.

يُكِنّ أتباع الطريقة كل الاحترام والتقدير لِلسي حمزة، الشيخ الحالي بزاوية عين بني مطهر بالمغرب الأقصى، يزورونه في مقر الزاوية أو يستقبلونه في مساكنهم هنا وهناك، باعتباره شيخَ الطريقة من جهة وأحد أحفاد الشيخ بوعمامة من جهة أخرى.

وقد أصبحت كلمة «شيخ» تطلق على كثير من الزعماء الروحيين للشيخية، ولكل صاحب زاوية الحق في إعطاء الأوراد وتعيين «المقاديم» والمريدين في المحيط المجاور لزاويته، لأنه وصل إلى درجة «زاوية محققة» مكلفة بالتربية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان سامية، وكل هؤلاء يحترم بعضهم بعضا ويقدمون الأقدم فيهم في المشيخة على غيره.

**07 -المداخيل(الإطعام):**

لقد عمل البوبكريون، أولاد سيدي الشيخ، على إقامة الزوايا منذ أن تخلى جدهم، عبد القادر بن محمد، عن حياة العزلة، وانتقاله إلى الاختلاط بالناس لخدمتهم دينيا ودنيويا. لقد قال له عمه أحمد المجدوب عندما زاره، رفقة والده، وهو منعزل للعبادة في الصحراء: إن إطعام المحتاجين أفضل من العبادة في عزلة عن الناس. فخرج عبد القادر بن محمد، من عزلته، بعد أن اقتنع برأي عمه، وأقام الزوايا هنا وهناك بمعونة أتباعه، فانتشر صيته بين الناس.

وأصبح الإطعام لدى الشيخية من أولويات العلاقة بينها وبين الناس، ويُعتبر الإكرام لديها عملا من أجل التقرب إلى الله عز وجل، وأن ظاهرة

الإطعام التي تقام في الزوايا مستنبطة من تعاليم الإسلام التي تدعو المسلمين إلى حسن الضيافة والصدقة. وهذا ما يحدث في المواسم التي تقام على ذكرى سيدي الشيخ وذكرى خلفه المشهورين هنا وهناك.

كما أن تعليم القرآن الكريم لأطفال المسلمين يتطلب توفير المكان والمعلم ومختلف الوسائل المساعدة كالمطعم والمرقد.

ولذلك ومن أجل القيام بهذه الأدوار، كان لابد من توفير الإمكانيات المادية، التي تأتي من تبرعات الأتباع ومن مختلف زوار الزوايا. وتتلقى الزاوية تموينها من مصادر متعددة، يجلبها المقدمون بجمع التبرعات من مريديهم وإحضارها إلى الزاوية المعنية، أو بخروج الشيخ نفسه إلى القبائل التي تخدم الطريقة واستلامها منهم.

ويُدعى هذا النوع من التبرع السنوي في المنطقة الجنوبية الغربية بـ «القَبْظ» أو «الخَدْمة» أو«الغْفار»، وهناك «الزيارة» وهي عبارة عن هدايا نقدية أوعينية يأتي بها الزائر للزاوية، وهي تقدم تطوعا واختيارا.

وتستلم الزاوية مختلف التبرعات والهدايا لتنفقها بدورها في مختلف وجوه البر والإحسان، وخاصة إطعام الطعام للزوار وعابري السبيل، وتغطية حاجات التلاميذ المقيمين بالزاوية من أجل حفظ القرآن الكريم. ويجتمع مقدمو الطريقة في بعض الجهات خلال إقامة الموسم السنوي لأحد الأولياء ويتدارسون مسألة النفقات والموارد، وكثيراً ما يكتشفون تسرب بعض الأموال فيقومون بمعاقبة الفاعل.

**08 -المواسم:**

تقام في المنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر عدة مواسم على ذكرى أولياء من العائلة البوبكرية ومن سلف أولاد سيدي الشيخ (الزْوَا)، وهي

عبارة عن تجمعات ذات مظاهر دينية ثقافية واقتصادية جهوية تدوم الواحدة منها عدة أيام، يحضرها خلف سيدي الشيخ وأتباع الطريقة الشيخية، الذين يأتون من مختلف جهات الوطن ليحيوا ذكرى الأسلاف ويتبرك الجميع بهذه الزيارة، ويرى كل مشارك في هذه الاحتفالات مناسبة ليلتقي بأقاربه المشتتين.

من أهم المواسم المشهورة بالمنطقة الجنوبية الغربية هي: «الركْبْ» لسيدي الشيخ ببلدة الابيض سيدي الشيخ وموسم سيدي أحمد المجدوب ببلدة عسلة وموسم سيدي التاج ببلدة قلعة الشيخ بوعمامة إلى جانب مواسم أخرى تقام هنا وهناك.

ومن مراسيم الموسم زيارة ولي المكان للتبرك وتجديد الارتباط بالسلف الصالح، وفي ذلك المكان يرى زائر المكان أنه ألقى بأحماله وترك همومه وعاد إلى حياته العادية مطمئنا.

ومن المراسيم الأخرى المتبعة، قيام المريدين بإنشاد الحَضْرة الخاصة بالطريقة، وهي عبارة عن أذكار وأدعية، بالإضافة إلى قراءة القرآن. كما يستغل وجهاء القوم المناسبة لحل النزاعات والخصومات القائمة بين القبائل والأفراد، ويقبل الجميع ويخضع لما تراه الجماعة من حل لمختلف القضايا العالقة بينهم.

كما تقام في الموسم مهرجانات الفروسية وإطلاق البارود، حيث تمثل كل فرقة قبيلة معينة تأتي من مساكنها في مختلف جهات الوطن، متحملة مشاق السفر لحضور الموسم والمشاركة في هذا المهرجان، يحملون خيولهم وأمتعتهم على السيارات، ويقصد العديد من رواد الموسم هذا المهرجان من أجل الفرجة والفسحة.

ويقدَّم الطعام مجانا طيلة أيام الموسم لكل الرواد الذين يمكنهم المبيت في خيام متسعة أقيمت لهذا الغرض، أو في بعض الدور التي يفتحها أصحابها لرواد الموسم وبخاصة لأقاربهم القادمين من بعيد. والإطعام مظهر هام من مظاهر الموسم، ويعتبر الكسكسى باللحم إلى جانب شرب الشاي الأخضر هي الأكلات التي تقدم طيلة أيام الموسم.

إنّ من شأن هذه الاحتفالات أن تلعب دورا لا يمكن نكرانه في التوازن النفسي لأتباع الطريقة وخلف سيدي الشيخ، فهم بذلك يعملون على إحياء العلاقات الاجتماعية السابقة بالاعتماد على نموذج معياري لا إلى واقع معيش، إذ يرى الكثير من هؤلاء الوافدين على المواسم ومن منظميها أنّ المشاكل تحدث لأنّه لم يقع التقيد بمعايير الأسلاف.

والخلاصة وكما يقول المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله إن «هذه الاحتفالات الموسمية الكبيرة قامت وما تزال تقوم بدور اجتماعي كالتضامن والتقارب والتغافر والاشتراك في التراث والعادات والتقاليد والالتقاء بعد افتراق طويل.

### 09 - خَلَف سيدي الشيخ

ترك سيدي الشيخ عددا من الأبناء، منهم من توفى دون أن يترك عقبا، ومنهم عاش وترك أبناء تسلم بعضهم المشيخة من بعده.

وقد أوصى، قبل وفاته سنة 1616م، بالخلافة لابنه سيدي الحاج بوحفص- ابنه من زوجته وابنة عمه أحمد المجدوب- ورغم أن سيدي الحاج بوحفص لم يكن ابنه البكر (الحاج بن الشيخ) إلا أن ورعه وتقواه جعل والده يختاره من بين إخوته الكثيرين، ويكلفه بهذه المهمة، وهو الذي سيكون جَدّاً لأحد فرعي أولاد سيدي الشيخ (أولاد سيدي الحاج بَحوص).

انتقلت المشيخه، بعد سيدي الحاج بوحفص، إلى أخيه سيدي الحاج عبد الحاكم، الذي سيسمى أحد فرعي أولاد سيدي الشيخ باسمه (أولاد سيدي الحاج عبد الحاكم). وبعده أخذ المشيخة ابن أخيه الحاج الدين، ثم عادت إلى ابنه سي أبي حفص الحاج، هذا الأخير الذي اشتهر وقصدته الوفود من جهات عديدة لزيارته وطلب الدعاء منه، وقد ألف كتابين، هما: «بهجة البهاج في التصوف» و«مفتاح الخيرات» في الصلاة على النبي. وقد قرر سي بوحفص الحاج مغادرة المنطقة والسفر إلى المشرق، فجمع وجهاء العائلة وأبلغهم برغبته في السفر، وعين على رأسهم تلميذه المفضل سي بن الدين، الذي أوصاه بولديه سي قدور وسي بودواية. وقد توفي سي أبي حفص الحاج بمصر.

في هذه الفترة ظهرت زاويتان:

1 – زاوية أولاد سيدي الشيخ الغرابة: وتضم أبناء سيدي الحاج عبد الحاكم، ومن تبعهم من القبائل، ويقيمون في القصر الغربي (غربي ضريح سيدي الشيخ).

2 – زاوية أولاد سيدي الشيخ الشراقة: وتضم أولاد سيدي الحاج بوحفص ومن تبعهم من القبائل، ويقيمون في القصر الشرقي (شرقي ضريح سيدي الشيخ).

نال سيدي الحاج بن الدين، وهو من نسل سيدي الحاج بوحفص، مكانة مرموقة بين أفراد العائلة الشيخية والقبائل التابعة للطريقة، لعدالته وحسن تدبيره وتقواه وورعه، وهو الذي بنى مختلف القباب على كل أضرحة أسلافه، في كل من الشلالة الظهرانية والأبيض سيدي الشيخ وارْبَوات.

استقر سي بن الدين في القصر الشرقي، وحاول التخفيف من حدة الخلاف بين فرعي العائلة الشيخية دون نتيجة، لذلك قرر ذات يوم مغادرة المنطقة للاستقرار في القليعة (المنيعة)، لكن وجهاء العائلة تمكنوا من إقناعه بالعودة إلى الأبيض سيدي الشيخ، التي بقي فيها إلى أن وافته المنية، وكان قد عين ابنه سي العربي على رأس الزاوية.

وعندما توفي سي العربي خلفه ابنه البكر سي بوبكر كزعيم لأولاد سيدي الشيخ الشراقة، وكان سي سليمان بن قدور هو زعيم الغرابة آنذاك. وفي سنة 1792م توفى سي بوبكر، وخلفه ابنه سي النعيمي.

وفي سنة 1816 خلف هذا الأخير ابنه سي بوبكر (على الشراقة). أما سي سليمان فقد خلفه ابنه سيدي الطيب، في هذه الفترة (حوالي سنة 1829) هاجر عدد كبير من أفراد الفرع الغربي إلى المغرب الأقصى.

وفي سنة 1834م توفي سي بوبكر بن النعيمي فخلفه ابنه سي حمزة، الذي شهد الغزو الفرنسي للجزائر، وقد توفى بالجزائر العاصمة سنة 1861 في ظروف غامضة، فخلفه ابنه بوبكر حتى سنة 1862 ليخلفه أخوه سي سليمان الذي سيثور على الفرنسيين سنة 1864.

وقد فضل البعض من القبائل العزلة، وانتقل أفرادها إلى المنطقة التلية شمالا، في كل من بلدة أولاد ميمون وبني صميل وولهاصة والرمشي وبني سنوس بولاية تلمسان، وأولاد بالغ وأولاد الزاير وأولاد خلفة بولاية عين تموشنت، والأغواط الدواير بولاية وهران. والتجأ بعضهم إلى التل المغربي وبعضهم إلى بلدة فكيك المغربية، واتجه آخرون إلى قورارة والقليعة (المنيعة) وتوجد طائفة منهم بفوقارة الزوا بعين صالح.

وعندما دخل الفرنسيون المنطقة الجنوبية الغربية في الأربعينيات من القرن التاسع عشر كان سي حمزة بن بوبكر هو الذي يتزعم أولاد سيدي الشيخ، كما ذكرنا سابقا، وقد خلفه بعد وفاته، ابنه سليمان الذي قتل في معركة عوينة بوبكر سنة 1864، فخلفه أخوه سي محمد فسي أحمد فسي قدور.

واستمر الصراع بين أولاد سيدي الشيخ والفرنسيين بين المد والجزر، إلى أن ظهر بوعمامة بن العربي بن الشيخ بلحرمة سنة 1875 ببلدة مغرار التحتاني كشيخ للطريقة، وبعد وفاته سنة 1908 بعيون سيدي ملوك بالمغرب الأقصى، خلفه ابنه سيدي الطيب حتى سنة 1933 حين تولى المشيخة ابنه سي عبد الحاكم، وعند وفاة هذا الأخير تولى المشيخة ابنه سي حمزة سنة 1966 بزاوية عين بني مطهر بالمغرب الأقصى.

أما في الجزائر فقد كلف سي الطيب بن بوعمامة شخصية هامة تتمثل في سي محمد بن الحاج بحوص بتأسيس الزاوية الموحدية بدائرة الرقاصة بولاية البيض في الثلاثينيات من القرن العشرين، والذي فتح زاوية أخرى في الأربعينيات من القرن نفسه بعين السخونة بنواحي سعيدة، وكلف اثنين من أبنائه بالإشراف على الزاويتين، على أن تكون مهمتهما نشر الطريقة الشيخية.

وعندما توفي سنة 1954 خلفه على زاوية عين السخونة ابنه سي المختار الذي توفى بدوره مؤخرا سنة 2006.

كما سمح سيدي الطيب بن بوعمامة لخاله التاج بن المنور بفتح زاوية ببلدة الحْصَيْبة(ماجنطة سابقا) المتواجدة حاليا بولاية سيدي بلعباس، والذي توفي سنة 1944وخلفه على الزاوية ابنه سي الطيب.

ويتواجد مقر الزاوية المركزي في بلدة الابيض سيدي الشيخ، حيث يرقد جثمان الشيخ المؤسس عبد القادر بن محمد، وحيث يسهر على تسييرها خلفه إلى اليوم.

**10 –دور الطريقة في مقاومة الاستعمار الفرنسي**

قامت الطرق الصوفية في الجزائر عامة، بدور ريادي في الدفاع عن البلاد ضد الغزو الاستعماري الفرنسي، وحمل زعماؤها لواء الجهاد، طيلة القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وقد كانت الطريقة القادرية بزعامة الأمير عبد القادر الرائدة في هذا المجال، وقد دامت مقاومتها للاستعمار الفرنسي سبعة عشر عاما. أما الطريقة الشيخية فكانت من أبرز هذه الحركات التي قامت بدورها الجهادي أحسن قيام، ويتمثل هذا الدور في مرحلتين:

**أ–المرحلة الأولى: مقاومة 1864:**

في سنة 1864 ظهرت مقاومة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي بزعامة سي سليمان بن حمزة، الذي استقال من منصبه كباشاغا على المنطقة، وراسل القبائل المختلفة يدعوها إلى الجهاد، فلبت نداءه قبائل عديدة وناصره عمّه سي الأعلى الذي كان قائدا على ورقلة، وتجمع المجاهدون في نومراك بمنطقة متليلي، وكلفت السلطات الفرنسية العسكرية الضابط بوبريتر Beauprêtre، حاكم قطاع تيارت، بالتوجه إلى المنطقة، والتحمت القوتان في شهر أبريل سنة 1864 في معركة ضارية بعوينة بوبكر بنواحي البيض (30 كلم شرقا)، كانت نتيجتها مقتل قائدي القوتين: سي سليمان وبوبريتر، وانهزمت القوة الفرنسية وانضمت فرق الصبايحية (السبايس) والقوم إلى المقاومين، وتمكن ثلاثة من الصبايحية

فقط من الوصول إلى بلدة فرندة. وبايعت القبائل سي محمد ولد حمزة أخو سي سليمان، قائدا لها يساعده عمّاه سي الزبير وسي الأعلى، وانضم سي النعيمي، آغا قصر الشلالة، إلى المقاومة.

وفي الفترة نفسها ثارت قبيلة فليتة بنواحي غليزان بزعامة الشيخ بالازرق معلنة دعمها لمقاومة أولاد سيدي الشيخ. وخاض المقاومون معركة ضدّ الجنرال مارنينيو في 27 أفريل كانت الخسائر فيها متبادلة، وبعد عدة معارك قتل سي بالازرق في 3 جوان سنة1864 وخلفه سي عبد العزيز الذي استسلم في 15 جويلية.

وقد واصل أولاد سيدي الشيخ هجوماتهم على العدو، واضطر سي الاعلى إلى الاتجاه شرقا نحو عين ماضي تحت ضغط القوات الفرنسية الملاحقة له، وتعاون معه أحمد التيجاني ممّا أدى إلى اعتقال هذا الأخير ونفيه.

وهاجم المجاهدون عدة قبائل مناصرة للفرنسيين، كما انضمت إليهم قبائل جديدة في منطقة الأغواط وجبال العمور. وفي جانفي سنة 1865 انضم ابن ناصر بن شهرة وأتباعه إلى المقاومة، وتوجهت قوات فرنسية عديدة لملاحقة المجاهدين بمساعدة بعض أعوان الفرنسيين. وقد تمكنت القوات الفرنسية من إلحاق الهزيمة بهم، وجُرح سي محمد الذي توفي على إثر ذلك، فخلفه أخوه سي أحمد ولد حمزة، وهو ما يزال صغير السن، على رأس المقاومة.

وفي جانفي من سنة 1866 تمكن سي أحمد من تجنيد قبائل هامة في منطقة القصور من جنوبي فكيك إلى البيض، وخاض بهم عدة معارك. وأصبح قادة الجهاد يتمثلون في ثلاثة زعماء: سي أحمد ولد حمزة، وسي سليمان بن قدور، والشيخ بن الطيب.

وعلى اثر ما سببته مقاومة أولاد سيدي الشيخ للفرنسيين من اضطرابات، جرت مفاوضات بين السلطات الفرنسية وسلطان المغرب، تعيّن على إثرها الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب كزعيم لفرع أولاد سيدي الشيخ الغرابة، الذين تعتبرهم «اتفاقية لالّة مغنية» لسنة 1845 مغاربة، وقد التحق بمنصبه في أكتوبر سنة 1867. أما سليمان بن قدور فقد انضم إلى الفرنسيين في جانفي سنة 1868، وفي أكتوبر من السنة نفسها توفي سي أحمد ولد حمزة بتافيلالت، وخلفه أخوه سي قدور ولد حمزة الذي تعاون مع سي الاعلى.

حاولت السلطات الفرنسية التفاوض مع قدور بن حمزة دون نتيجة، ثمّ أرسلت عدة فرق فرنسية تحت قيادة العقيد دي ميلواز لملاحقة قدور ولد حمزة واصطدم به في ماقورة في 17 أفريل سنة1871 وهُزم المجاهدون، الذين انسحبوا غربا إلى بني مطهر بالمغرب، ثمّ اتجه سي قدور بن حمزة، بعد ذلك، جنوبا إلى واد غيرْ، عند قبيلة دوي منيع، وازداد التوتر والخلاف بين زعماء أولاد سيدي الشيخ مما أدى إلى عدة اضطرابات بجنوبي البلاد في ديسمبر من سنة1871.

وهُزم المجاهدون في معركة المنقوب، وأسرت عائلتا قدور ولد حمزة وسي الاعلى. وعلى اثر هذه المعركة نقل الفرنسيون سليمان بن قدور إلى سهل ملاته قرب وهران ووضعوه تحت الإقامة الجبرية بعد أن شكوا في ولائه لهم. وفي فيفري من سنة 1873 تمكن سي سليمان بن قدور من الفرار من مقر إقامته بضواحي عين تموشنت، والتجأ إلى المغرب ليعاود نشاطه الحربي ضد الفرنسيين.

وفي سنة 1874 وقعت عدة مواجهات بين سليمان بن قدور والفرنسيين، وتدخل شريف وزان لإنهاء الوضع المتأزم بين المجاهدين

الجزائريين والفرنسيين، وتمكن من عقد اتفاق مع سليمان بن قدور الذي وضعه تحت الإقامة الجبرية في مكناس ثمّ فاس، واستمر الجهاد والمقاومة، وكان المجاهدون يشنون الغارات على الفرنسيين ليلتجئوا بعد ذلك إلى الحدود المغربية.

واستمرت الحركة بين المد والجزر إلى أن تمكن الفرنسيون من عقد الهدنة مع أولاد سيدي الشيخ الشراقة بزعامة قدور بن حمزة سنة 1883.

**ب – المرحلة الثانية: مقاومة 1881:**

تبدأ مقاومة الشيخ بوعمامة منذ استعداداته وتحضيراته للمقاومة قبيل سنة 1881، وذلك عن طريق إرسال «مُقدَّميه» إلى القبائل المختلفة، أو بتنقلاته هو نفسه، للحصول عن الأسلحة والذخائر الحربية وتعبئة الأفراد، ثم إعلانه الجهادَ ودعوة القبائل إلى الالتحاق به لمحاربة المستعمِرين غزاة الوطن، وقد بدأت المرحلة بمعركة تازينة في 19 ماي 1881 الواقعة شرقي بلدة الشلالة الظهرانية، والتي انتصرت فيها قوات الشيخ بوعمامة على الجيش الفرنسي بزعامة الضابط إينوسنتي، رغم عدده وعتاده، تلتها المسيرتان نحو المنطقة التلية في شهري جوان وجويلية من السنة نفسها، ثم تواصل الصدام بين الطرفين الفرنسي والجزائري إلى أن توفي الشيخ بوعمامة سنة 1908 بالمغرب الأقصى.

وقـد استمرت المقاومة الشعبية الجهادية مصاحبة للشيخ طيلة حياته، سواء كان ذلك بطريق مباشر أوغير مباشر، حين تواجده بالمنطقة الجنوبية الغربية بجهات الأطلس الصحراوي، أو في دلدول بالجنوب الجزائري، أو في المغرب الأقصى في مطلع القرن العشرين، وقد تم ذلك بمعاركه وبنصائحه وتوجيهاته للقبائل من أجل الحذر من الفرنسيين والدعوة إلى

معاداتهم وعدم موالاتهم، ومحاربة من خضع لهم أو لَجَأ إلى المناطق التابعة لهم، وتشجيعه ودعمه للغارات على مواقع الفرنسيين وإقامة الكمائن للفرق العسكرية وقوافل تموينها.

**الخلاصة:**

أن الطريقة الشيخية قامت بدورها الهام في خدمة المجتمع الجزائري في فترات تاريخية صعبة، خلال العهد العثماني الذي لم يكن ليهتم بحاجيات المجتمع الجزائري، وفي العهد الاستعماري الفرنسي الذي جاء لاستغلال ثروات البلاد والقضاء على مقومات الشعب الجزائري وضمه إلى وطنه الفرنسي. قامت بتربية النفوس، وخدمة الدين الإسلامي يتحفيظ قرآنه والحفاظ على لغته العربية ومقاومة الاستعمار الفرنسي بما أوتي الناس آنذاك من قوة وعزيمة.

أما اليوم، وبعد استرجاع الاستقلال الوطني، فقد تغيرت التحديات؛ وباعتبار الطريقة الصوفية نوعا من الجمعيات المدنية، عليها أن تواكب العصر وأن تتكيف مع متطلباته من أجل تطوير وسائلها لخدمة المجتمع الجزائري في إطار التنمية الشاملة ومواجهة عالم الغلبة فيه للأقوى.

# الشيخية بين الدين والسياسة

الأستاذ: خليفة بن عمارة – عين الصفراء

## القسم الأول: أجداد سيدي الشيخ، مؤسس الطريقة الشيخية

مصطلح الشيخية يعرف كمذهب صوفي (طريقة)، وينحدر من الشاذلية، ابتكرت الطريقة الشيخية من طرف سيدي عبد القادر بن محمد، المعروف بين العامة بسيدي الشيخ، الذي تنحدر أصوله من الجنوب الغربي الجزائري، وقد عاش بين القرنين 16 وبداية 17م (10هـ):

القبيلة التي تنتمي إليها هذه الشخصية تدعى بالبوبكرية وهي التسمية التي انشقت من اسم الجد الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه، الصديق الحميم، رفيق الجهاد صهر وخليفة رسول الإسلام، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قبل التطرق للعلاقة بين الجانب الديني والسياسي للشيخية في القرنين 16 و19م، أي تلك المرحلة التي تبدأ من سيدي الشيخ إلى غاية الشيخ بوعمامة، رأينا من الضروري التأكيد على السمات الشخصية لبعض أجداده، خلال القرون التي خلت.

في عصر الصعوبات التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الأولون رضي الله عنهم، بمكة فإن أبا بكر الصديق الذي تنتسب إليه

البوبكرية، يمثل أول شخصية في هذه السلالة، التي تمثل بطريقة جيدة العلاقة بين الجانبين الديني والسياسي، أثناء النصف الأول للقرن السابع الميلادي (7) القرن الأول (1) الهجري.

فبعد أن أصبح أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم توصل إلى تحقيق السلطة الدينية التي جمع فيها السياسية بصفته أميرا للمؤمنين، فمارس سلطته على جميع الأصعدة وعلى كل الجماعة التي شكلت النواة الأولى للدولة الإسلامية الصاعدة.

أصبح أبناء أبي بكر الصديق رضي الله عنه أحسن المساعدين للخلفاء الذين استلموا زمام الحكم بعد أبيهم حيث ذكر المسعودي في كتابه: «مروج الذهب» أن عبد الرحمان، ابن أمير المؤمنين كان يتميز بنقاوة إيمانه وظهوره في أحداث الكبرى، مقدما تفاصيل عن هذا الأخير وأخيه محمد، مذكرا أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أثناء خلافته كلفهما بمهام سياسية ودبلوماسية عالية الشأن، فعبد الرحمن نائب مقرب من أخته عائشة رضي الله عنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، كما عين محمد كحاكم على مصر قبل استخلافه بعمرو بن العاص.

تذكر وثائق أخرى أن أبناء – أبي بكر الصديق رضي الله – الكثر ترجع أصولهم إلى مكة، وسبب خروجهم منها هي مطاردة محمد السفاح أبو العباس وأخوه جعفر المنصور لهم، فسافروا إلى تونس واستقروا بها، وكان أول من مارس السلطة بينهم هو صفوان بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ونستخلص هنا بأن مطاردة الخلفاء العباسيين للبوبكريين كانت في النصف الأول من القرن الثامن (8) ميلادي، الثاني (2) الهجري، وأن

نفيهم من بلدتهم الأصلية كانت تحت إمارة صفوان، الحفيد الأصغر لأبي بكر الصديق، ونظرا لندرة المعلومات التاريخية حول الحلقات التي تتابع من صفوان إلى القرون اللاحقة، لم نستطع التأريخ لها.

غير أنه في القرن 14م / 8هـ، فإن قوة البوبكرية التي تهمنا قد تركزت في تونس، أين يوجد رئيسها، سليمان بن سعيد الذي كان يسير المؤسسة الدينية، وقد خلفه أبناءه عقبة ومعمر.

فالبوبكرية الذين يحيون على ذكر جدهم يمتازون بتجربة رائدة في التعليم ويمارسون تأثيرا معتبرا، فهم يحتلون مكانة قوية، طبقا لمحافظتهم على الروابط الودية وصلت إلى حد المصاهرة مع العائلات القريبة من السلاطين الحفصيين.

في هذه المرحلة اجتاز الحفصيون أزمة سلطانية كبيرة، والتي تم تفكيكها مع حركة أبي العباس الذي استولى على السلطة، والذي قلص من المقاومات الداخلية، والذي ألغى الامتيازات التي كان يتمتع بها رؤساء القبائل والجماعات الدينية المناوئة له.

إن أعداء هذا الملك الحفصي، فسحوا له الطريق والمكان، ومنهم بالعالية ومجموعة من رفقائه الذين لجؤوا إلى الجنوب الشرقي الجزائري... بعد مدة اتصل معمر بالعالية بقبيلة بني عامر، هذه القبيلة ذات الأصول الهلالية من فرع زغبة، كانت تمارس حقوق إقطاع ملكي في الأراضي التي منحها لهم السلاطين الزيانيين.

فمعمر بالعالية جد البوبكرية استقر بآربا بالجنوب الغربي أي حوالي 20 كلم من قصر الأبيض الذي لم يكن قد شيد بعد، فالوازع الديني هو الذي دفع به للمجيء إلى هذه المنطقة والاستقرار بها، وقد سهل له بنو

عامر ذلك، في هذا الوقت بالذات كان عددا من البربر ينتشرون في عدة قصور بالمنطقة ويمارسون مذهب الخوارج، ولكي يرجعهم إلى مذهب السنة والجماعة أنشأ معمر بالعالية زاوية «آربا» وتولى التدريس فيها، كما كان يقوم من وقت لآخر بالذهاب إلى تلمسان، عاصمة الزيانيين آنذاك.

والملاحظ أن هذه الشخصية المحورية للبوبكرية بعد الأحداث السياسية قد تركت تونس الحفصية لممثلي السلطة الزيانية واستقرت بالجنوب الغربي، لقد ترك معمر بالعالية مكانه لعيسى على رأس زاوية آربا التحتاني بعد أن استخلفه كلا من رجال الخفاء بلحيي وبوليلي.

ظهر سيدي بوسماحة في الثلث الأخير من القرن 15م، في مرحلة صعبة شهدت بروز ظاهرة خاصة كانت لها آثار معتبرة على المغرب وهي الحركة المرابطية.. فلقد غزا البرتغاليون ثم الأسبان عدة مرات الشمال الإفريقي لذلك كانت ردة الفعل تتمثل في نمو هذه الحركة التي لم يكن هدفها فقط الإصلاح الديني وإدخال القواعد الصوفية التي كان يمارسها عدد محدود من المتصوفة وإنما لتغيير السلطة القائمة آنذاك، التي كانت تشكو من ضعف كبير ونعني بها المرينية الوطاسية في المغرب والزيانية في الجزائر.

من هنا فإن الممارسات الصوفية والدروس المقدمة أصبحت غير كافية فللقضاء على خطر المد الصليبي المسيحي لابد من التأثير على المجتمع لتعبئته للجهاد وقلب الحكومات الضعيفة، من ذلك تعميم التصوف والتدخل في السياقة مع تكوين المتطوعين، وفي هذه الحالة يصبح هذين العنصرين أساسيين في هذه الحركة.

وهكذا أصبح الجنوب الغربي مكانا للالتقاء بالنسبة للحجاج والتجار والطلبة والمسافرين الآتين من الصحراء، والممر الذي لابد منه حيث

قام الشيخ بوسماحة بإنشاء زاوية متنقلة تقدم دروسا لمختلف التلاميذ من شتى المناطق فكانت نبراسا لإلتقاء الأفكار التي تناقش من طرف الطليعة...

أخذ بوسماحة في الإكثار من تنقلاته في المنطقة وقورارة، وكان كثير الاحتكاك مع المشرق خاصة مع أهل مكة الذين كانوا يأخذون منه هبات معتبرة، كما أنه بادر بإرسال ابنه سليمان بعيدا (المغرب، اسبانيا) ليتلقى دروسا متقدمة في العلوم الدينية، وأن يتناغم مع الأفكار الجديدة المتداولة.

شهدت المرحلة التي عايشها بوسماحة على التصدعات الأولى للكتلة الهلالية التي كانت تمثل السلطة الملكية في الجنوب الغربي، أثناءها أخذ حميان ينفصلون عن أبناء عمومتهم بني عامر للتقرب من البوبكرية.

لقد كان سليمان الذي خلف بوسماحة الشخصية الأكثر ثقافة والأغزر علما في البوبكرية المنتمين إلى الجنوب الغربي، نتيجة تلقيه الدروس الدينية ذات المستوى العالي في كل من المغرب وإسبانيا المسلمة، كما ذكرنا آنفا، غير أنه رجع إلى البلد بعد سقوط غرناطة سنة 1492م.

ونظرا لمؤهلاته وكفاءته العلمية فقد حاز منصب الإمامة في المدينة الحدودية «فجيج» التي كانت قطبا ثقافيا وإقتصاديًا لكل المنطقة المحيطة بها، ثم أسس زاوية غير بعيدة عنها في «بني ونيف»...

التقى سليمان بسيدي أحمد بن يوسف، أحد أقطاب الحركة المرابطية والطريقة الصوفية الشاذلية، وفي بداية القرن 16/ 10هـ. أصبح رئيسا لزاوية بني ونيف وأول مقدم (ممثل) للشاذلية في الجنوب الغربي،

ومن هنا اعتنق الأفكار السياسية لشخصية سيدي أحمد بن يوسف أحد المؤيدين الأساسيين للقراصنة العثمانيين الذين حاربوا الأسبان وحلفاءهم الزيانيين.

وفي هذا الإطار الإستثنائي فإن الهيجان السياسي- الديني بفعل الحرب الدينية والصليبية في كل من المتوسط سمح بالمقابل لرؤساء الزوايا أينما وجدوا باكتساب نوع من السلطة، في حين أن السلطة الأوتوقراطية للسلطان في الجنوب كانت على أسوأ تمثيل، غير محبوبة ومبعدة، وغير موجودة، كما أن سلطة الجماعة قد تجاوزتها الأحداث بحيث تركت مكانها لسلطة جديدة ذات حكم إلهي (تيوقراطية) حيث أصبح رئيس الزاوية حكما متألقا، فهو يقرر في آخر المطاف في الإشكاليات المعروضة عليه.

أخذت تنتشر تلك المقولة ذات الصبغة الشعبية، «ليست هناك من حكومة، إن الكلمة هي لأحباب الله». أما بالنسبة للحالة التي تهمنا، فكثير من الروايات تظهر لنا أن سليمان بن أبي سماحة أدى باقتدار دور الحكم في حل النزاعات الداخلية بفجيج، وفي الجنوب الغربي الجزائري.

لقد خلف سليمان ابنيه محمد وأحمد المختلفان في الطبائع، وفي التصرفات، وكليهما يحترمان بعضهما البعض ويتكاملان...

محمد وارث سر أبيه رجل أنيق مشهور بتقواه، صبور كريم، تلقى دروسه بالشلالة وفجيج وأسس زاوية متنقلة أشرقت على كامل الجنوب الغربي.

أما أحمد الابن الثاني المعروف بكنية «المجذوب وهي المرحلة العليا من مراتب التصوف» فقد درس بالشلالة وفجيج وتعرف على

الطريقة الشاذلية وتعلمها واتجه إلى الممارسات الصوفية مبكرا في الخلوات المنعزلة.

وقع سنة 1535م حادث بسيط- اختطاف امرأة- أدى إلى أزمة كبيرة قلبت أوضاع الجنوب رأسا على عقب، هذا الحادث دفع بهذا الناسك المتعبد إلى ترك ممارساته الصوفية وخلوته مؤقتا ليقوم داخل البوبكرية والقبائل المتحالفة معهم بحملة شعواء ضد بني عامر، التي كانت تمثل قبيلة المخزن للسلطة الزيانية بتلمسان.

فهذه أول مرة نرى فيها الصورة المتناقضة للصوفي الخلواتي المنعزل قد أخذته الحمية ضد الظلم. بشن غزوة تخلف خسارة في الحقل السياسي، وينخرط بعمق في حركة ذات تشعبات عديدة.

**القسم الثاني: سيدي الشيخ مؤسس الطريقة الشيخية وأحفاده**

لقد خلف محمد ولده عبد القادر، الذي عرف باسم «سيدي الشيخ» والذي تابع دراسته بالشلالة وفجيج، خاصة في زاوية سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي الشاذلية، بالجنوب الغربي فكان من ألمع تلاميذه، حيث تم تتويج سيدي الشيخ بصفة المقدم في هذه الطريقة الصوفية.

عاد سيدي الشيخ إلى منطقته الاصلية، ثم قام برحلات وأسفار إلى كل من شمال الصحراء والمغرب، حيث زار ومكث بعدد من المؤسسات الدينية، فأنشأ زوايا في مغرار التحتاني، وفجيج، والحاسي الأبيض، تصاحبه زاويته المتنلقة في جميع تنقلاته.. درس مئات التلاميذ العلوم الدينية، وأسس الطريقة الشيخية.

نظرا لما كان يتمتع به سيدي الشيخ من وقار وهيبة، أصبح محط أنظار مختلف الجماعات من القبائل والقصور التي كانت تلجأ إليه ليحكم بينها فيما يطرأ عليها من المشاكل.

هذه المكانة الرائدة والمسؤولية العظمى لم تمنعه من ممارساته الدينية وخلواته الصوفية – مكان للخلوات المنعزلة– ولا يفوتنا التذكير بأن سيدي الشيخ ألف عددا من الأعمال، أشهرها النصوص الصوفية مثل: الياقوت والجلالة...

إن اللقاءات الأولى لسيدي الشيخ مع السلطات العثمانية كانت في بداية سنة 1550م فالأتراك الذين استولوا على تلمسان وأنهوا حكم السلطانية الزيانية وبدؤوا في تنظيم القطاع الوهراني، هذه اللقاءات كانت تتم في أسواق منطقتي تلمسان وسيدي بلعباس، أين كانت تلتقي قوافل القبائل الجنوبية لبيع المواشي ومنتوجات أخرى، وتشتري بالمقابل الحبوب.

بعد وفاة والده سنة 1569م خلفه على رأس البوبكرية، وأصبح المحاور بامتياز بالنسبة للأتراك، حيث كان مقر البايلك في مازونة، وبفعل تأثيره الهام على عدد من القبائل، والمكانة التي كان يحظى بها، ولعدم قدرتهم على مراقبة الجنوب اتخذ منه الأتراك حليفا لهم بصفته رئيس أكبر زاوية، وسمحوا له وشجعوه على القيام بدورات في التل، فزار مختلف القبائل، خاصة حميان وبني عامر، الذين هاجروا من الجنوب، وأخذ في نشر أفكاره الدينية والحث على الجهاد، كما نادى بقيام المتطوعين لطرد الاسبان المحتلين لوهران وللمرسى الكبير

– بعض المصادر تذكر تدخله المباشر ومشاركته في حصار وهران – أثناء بعض الفترات.

منح الأتراك لسيدي الشيخ بعض الامتيازات، منها الهبات، وأخيرا تزوج بامرأة تركية وأسيرة مسيحية أهداها له الأتراك، هاتين الزوجتين تركتا من ورائهما ذرية.

في سنة 1578م، توج أحمد المنصور على عرش المغرب، وأخذ في استعادة النظام لمملكته، وفي ظرف أربع سنوات استطاع إخضاع منطقة فجيج، التي كانت تتمتع بحالة شبه مستقلة لأكثر من قرن، حيث كان سيدي الشيخ يملك زاوية من جهة، ومن جهة أخرى كان على رأس قبيلة مرابطة قوية في المنطقة كمقدم للطريقة الشاذلية التي كانت ترتبط في عدد من خصائصها مع الزوايا الجازولية في المغرب والتي ساعدت السعديين في استيلائهم على الحكم.. وعلى هذا الأساس، كان مبعوثي الملك المغربي يستشيرون سيدي الشيخ باعتباره حليفا لهم.

لم تمر إلا سنة على تتويج أحمد المنصور كسلطان للمغرب، الذي خشي الأتراك من أفكاره التوسعية فجندوا له حملة عسكرية، اجتازت الجنوب الغربي، لغاية وصولها إلى فجيج حيث صدمت بمقاومة سكانها، ففرضت عليهم دفع الضريبة، إلا أنهم اكتشفوا عدم قدرتهم على السير نحو الجنوب الغربي، البعيد جدا، ولتجنب الفوضى اختاروا أهون الضررين، وهو أن يمثلهم رئيس البوبكرية الذي كان يتمتع بلباقة دبلوماسية، فاستغل سيدي الشيخ هذه الوضعية، وأقام علاقات جيدة مع أتراك الجزائر وملك المغرب في نفس الوقت وبعد عدة سنوات استضافته مدينة فاس وأحاطه الملك بكثير من الهدايا وبعدد من المرافقين لسلامته

وحراسته، كانوا يدعون «الغياطة» الذين استقروا بالجنوب الغربي ليقوموا ببعض الحفلات، والتي نجدها اليوم متوارثة عند مجموعة من القبائل تدعى «الغياطة كسال»!.

وفي نهاية القرن 16م أثر سيدي الشيخ على المدينة المغربية «فجيج»، فكان يدعى للتحكيم في كل النزاعات مثلها مثل القصور الأخرى في الجنوب الغربي، وبعد موت الملك سنة1603م، حصلت أزمة كبيرة في السلطانية، فتصارع الأبناء على السلطة، مما جعل سيدي الشيخ يقف إلى جانب زيدان ضد إخوته فراح يدعو له في المنابر بمساجد فجيج.

هذا الموقف ألب عليه عددا من الأعضاء من بينهم ابن أبي المحلي، وهذا الأخير كان رجلا مثقفا ومفكرا دينيا وسياسيا، كاتبا وهجاءًا، ولم يكن رجلا عاديا، ترجع أصوله إلى الجنوب الغربي، تابع دروسا دينية في منطقته، ثم في فاس، تابع تكوينه الموفق في النظريات الصوفية، ثم تابع رحلته السياحية التي أوصلته إلى بني عباس، حيث مكث بها وتزوج فيها، ثم سافر إلى بسكرة، والجنوب التونسي، وليبيا ومصر التي توقف بها لمتابعة دروس أخرى، ثم ذهب إلى مكة، ليعود بعد ذلك إلى ا لبلد، مكث لوقت ما في فجيج وقام بدراسة خاصة في زاوية آل عبد الجبار، وفي سنة 1600م تعرف على سيدي الشيخ الذي دعاه إلى زاويته المتنقلة بالقرب من الشلالة، وكانت قد مرت ثلاث سنوات عن وفاة الملك المغربي وعن مساندة سيدي الشيخ لابنه زيدان، فرجع ابن أبي المحلي إلى سيدي الشيخ، لكن الرجلين اختلفا، ومن ثم حدثت القطيعة بينهما.

أخذ ابن أبي المحلي في نقد سيدي الشيخ، ثم ذهب إلى بني عباس وإلى الشرق ليعود بعد ذلك إلى بني عباس، واشتغل دون انقطاع على

تحرير عدد من الكتب (أكثر من ألف صفحة) حول الدين والسياسة وكذلك بعض الكتابات الهجائية ضد سيدي الشيخ، وقد رد سيدي الشيخ على أعدائه في بعض المقاطع من «الياقوت».

استمرت الأزمة السلطانية وبلغت ذروتها سنة 1610م. السنة التي ترك فيها سلاطين المغرب مدينة الاعراش للأسبان، وفي السنة الموالية كتب ابن أبي المحلى عددا من المقالات النارية الهجائية، وأعلن عن الإنتفاضة العامة ضد السلطة، فجمع مؤيديه واتجه نحو «تافيلالت» بلدته الأصلية التي احتلها ثم تابع غزواته واستولى على مراكش التي أصبح ملكا عليها، وفي سنة 1613م بعث زيدان بحملة عسكرية قتل فيها ابن أبي المحلي واستولى على مراكش فكان مصيره عجبا.

توفي من يعتبر مؤسس الشيخية ومفتاح القبة للشريحة البوبكرية (سيدي الشيخ) في الجنوب الغربي بعد ثلاث سنوات من الأحداث، فهؤلاء ومنهم سيدي الشيخ وصلوا إلى أقصى مدى للتأثير، ولم يستطع بعده أي عضو من هذه الشريحة أن يبلغ مكانته، فقد اكتسب حياته شهرة واسعة تجاوزت المنطقة الجنوبية.

عين سيدي الشيخ قبل وفاته خليفته المتمثل في ابنه الثالث المدعو «الحاج بوحفص»، اختيار أملته تقوى وكفاءة هذا الأخير، ففي حياة والده، كان يملك زاوية خاصة به بالمنيعة (القليعة) بعيدة عن زاوية أبيه.

كان رجلا فاضلا وتقيا، عرف بعدد حجاته التي كان ينظمها ويقودها بنفسه إلى مكة، في عهده بدأت حركة الأشراف العلويين في الإستيلاء على السلطة في المغرب..

نذكر بأن مجيء السلطان محمد الشريف إلى فجيج كان سنة 1647م بغرض القضاء على معارضيه الذين التجؤوا إلى خنادق قصبة سيدي الشيخ، والاحتمال ضعيف أن يكون لسيدي الحاج بوحفص يد في هذه الأحداث.. وبعد سنوات قام نفس السلطان بغزو قصر الغاسول في الجنوب الجزائري، ولكن لم يذكر أي اتصال بينه وبين سيدي الحاج بوحفص الذي كان موجودا آنذاك في الصحراء.

لقد شهد عهد سيدي الحاج بوحفص توسعا في القاعدة الاقتصادية والمجالات الحيوية لتأثير البوبكرية وبالتالي الشيخية في الجنوب الشرقي بمتليلي، وورقلة، والقليعة، والصحراء الوسطى.

إن رؤساء البوبكرية الذين توارثوا السلطات الدينية وقيادة الطريقة الشيخية قد أخفوا علاقاتهم مع السلطات العثمانية في القرنين 17 و18م... سي الحاج بوحفص خلفه أخوه عبد الحاكم، ثم ظهر سي بوحفص الحاج ابن عبد الحاكم، عابد زاهد ورع، ألف كتب صوفية، هاجر إلى المشرق، وترك صلاحياته إلى تلميذه سي بن الدين- حفيد الحاج بوحفص وهو أيضا عابد زاهد، وورع، ألف النصوص الدينية، وكان رئيسا ومقاولا بنى العديد من القباب في المنطقة، واستطاع أن يحل الكثير من النزاعات بين القبائل.

وعلاقاته الودية مع السلطات لم تمنعه من تطبيق حق اللجوء الممنوح للزوايا، حيث استقبل لاجئا تركيا رفض الرجوع إلى ذويه.

في عهده غزا الملك «مولاي إسماعيل» الجزائر، بالمرور على الجنوب الشرقي، والمصادر التي هي بين أيدينا لم تشر إلى العلاقة بين هذين الرجلين.

ثم تتابع على رأس البوبكرية كلا من سي العربي ثم سي بوبكر في ذلك العهد الذي جاء فيه الباي التركي محمد الكبير بحملة كبيرة لمحاصرة قبيلة الشلالة الظهرانية والتي رفض أهلها دفع الضرائب.

أما في عهد خليفة سي بوبكر المدعو سي نعيمي وابنه سي بوبكر الصغير، فقد كانت السلطة التركية في أوج التفكك في التل بفعل الانتفاضات الشعبية، كما أن البايات الذين توالوا على الحكم لم تكن لهم اتصالات كبيرة مع الجنوب الغربي.

نحن الآن في القرن 19م، حيث توغلت السلطة الفرنسية في الجنوب من خلال الغزو لكنها تيقنت بأنها لن تستطيع فعل شيء دون البوبكرية، فاتصلت برئيسهم حمزة بن بوبكر، وبعد تردد كبير عينته «خليفة»، وهذا ما يمثل السلطة المطلقة التي تمكنه من ممارسة سلطانه على المنطقة، تعيين لم يرق لرفقائه ولا لرؤساء القبائل المتحالفة، غير أنه تبين لهم قوة جيش الاحتلال الغازي، ولابد لهم من الوقت والوسائل لتنظيم المقاومة.

لقد ارتاب الفرنسيون في التصرفات الغامضة لسي حمزة، خاصة عندما علموا بأنه يقيم علاقات مع صهره، الملك الغربي مولاي عبد الرحمن، الذي زوجه أخته «الياقوت»، وبناء على معلومات الجواسيس، تم توقيفه والزج به في السجن، وأمام ضغط مبعوثي القبائل والزوايا القادمين من كل جهة، فقد تم وضعه تحت الإقامة الجبرية، ليسمح له بعد ذلك باستئناف مهامه.

عمد الفرنسيون إلى إلغاء منصبه، ووضعه ثانية تحت الإقامة الجبرية، توفي سي حمزة في ظروف غامضة بعد أن علم بأن أملاكه قد صودرت.

نصّب الفرنسيون ابنه بوبكر، ليس كخليفة ولكن «باشاغا» أي متصرف في الإدارة الإستعمارية، غير أنه توفي بعد مدة قليلة من تنصيبه.

أخوه سي محمد بن حمزة أخذ عنه مشعل المقاومة، حيث امتدت العمليات إلى الشمال والوسط من القطر، تم استشهد في المعركة السنة الموالية... ثم تبعه أخوه «سي أحمد بن حمزة» ومضى في الكفاح ضد فرنسا إلى غاية وفاته سنة 1868م، بعده أخذ مشعل المقاومة أخوه سي قدور بن حمزة رفقة سي لعلا دام ذلك لسنين طويلة، ليأتي بعدهما سي بوعمامة المنحدر من سيدي التاج بن سيدي الشيخ، الرجل التقي، الذي تابع دراسته بفجيج، المتأثر بالأفكار الصوفية، حيث كانت الممارسات الروحية والزهد صفات يتصف بها بدءا من شبابه، أول عمل قام به هو تأسيس زاوية في مغرار التحتاني، في القصر الذي أسس فيه سيدي الشيخ زاويته الأولى من قبل فبدأ التدريس بها، وفي نفس الوقت أخذ في نشر أفكاره لكي تستمر المقاومة.

أخذت شهرته تتوسع في الآفاق أكثر فأكثر وأخذ مندوبو القبائل المختلفة في استشارته على التصرف الذي ينبغي اتخاذه... بعث رسائل إلى أماكن مختلفة، خاصة في الجنوب الشرقي وفي الصحراء الوسطى، ودخل في اتصال مع ممثلي الطريقة السنوسية، التي كانت تتزعم الحركة الإسلامية المؤطرة للقوى الإسلامية ضد الغزاة.

اندلعت الانتفاضة التي ترأسها بوعمامة في ربيع 1881م، وبالقرب من «الشلالة» قاد معركة خرج منها منتصرا، وتتابعت انتصاراته، وبالفعل قام بعدد من الغزوات التي وصلت إلى مشارف مناطق سعيدة وفرندة، هذه العمليات أغضبت الجيش الفرنسي، الذي اختار سياسة الإبادة، بتهديم قبة سيدي الشيخ بالمتفجرات – الديناميت –.

في الأبيض، وهكذا نظم المستعمر عدة حملات لتعقبة، فرجع الشيخ بوعمامة إلى الجنوب أين قاد عدة معارك. لجأ بعدها إلى قورارة حيث استمر في بث روح المقاومة لدى القبائل الصحراوية، ليستقر بعد ذلك في الجنوب المغربي، في المنطقة الحدودية مواصلا حربه ضد الفرنسيين، موازاة مع ذلك فقد دعم حركة المقاوم المغربي «الجيلالي بن عبد السلام الزرهوني» المدعو «روقي»، والذي يكنة «بوحمارة»، الذي كان يقود المعارضة ضد السلطان عبد العزيز المتحالف مع القوى الغربية، وتوفي الشيخ بوعمامة في المغرب سنة 1908م، حيث تم دفنه.

هذه المعلومات الأساسية التي تمكنا من جمعها عن مؤسس الطريقة الشيخية «سيدي الشيخ»، بالإضافة إلى الأصول (الأجداد) والفروع (الأحفاد). من خلل هذا العرض الموجز، من السهل الافتراض بأنه ومنذ ظهور الإسلام فإن الشخصيات المهمة لهذه السلالة كانوا بمثابة رؤساء دينيين، فكما كانوا يمارسون وظائفهم التقليدية- بالطبع- لم يدخروا جهدا في الانخراط في المسائل السياسية المواكبة لعصرهم، ففي كل مكان يتواجدون فيه ألا ويؤثرون على المحيطين بهم بدرجات متفاوتة، وكانت السلطة القائمة آنذاك تأخذها مأخذ الجد.

ففي خضم هذه الأحداث، كانت لهم علاقات تتأرجح بين الجيدة والسيئة مع الحكام، فمرة يستفيدون من امتيازاتهم وأخرى يستثيرون غضبهم، ولكنهم دائما كانوا محل اكتراث واهتمام.

**المراجع:**


ـ سيرة البوبكرية.

ـ أ. خليفة بن عمارة (الجزء I ،II).

ـ الشفاء للقاضي عياض.

ـ المهراس، المنجنيق، السلسبيل لابن أبي المحلى.

ـ بهجة البهاج، مفتاح الخيرات لأبي حفص الحاج.

# المستشرقون الفرنسيون واختيار مدينة سيدي الشيخ لدراسة التصوف الإسلامي

الطيب بن إبراهيم

## المقدمة

المستشرقون هم علماء الغرب الأوربيون الذين اهتموا وتخصصوا فسي دراسة الشرق عامة، والعالم الإسلامي خاصة، فدرسوا عقيدة المسلمين وشريعتهم وتاريخهم، وجغرافيتهم، ومجتمعاتهم، وحضارتهم، درسوا القرآن الكريم وتفاسيره، والسيرة النبوية وكتبها، والفقه الإسلامي ومذاهبه، واللغة العربية وآدابها، والثقافة الإسلامية ومدارسها، والتاريخ الإسلامي ومراحله، وجغرافية المسلمين وأقاليمها، والمجتمعات الإسلامية وإثنياتها، والحضارة الإسلامية ونظمها السياسية والاقتصادية والقضائية والاجتماعية والفكرية، درسوا كل ما له علاقة بالعالم الإسلامي وتبحروا في تخصصاتهم فيه، والتصوف الإسلامي كان أحد أهم محاور الدراسات الإسلامية لدى المستشرقين عامة والفرنسيين خاصة، بل اكبر المستشرقين الفرنسيين هم من تخصص في التصوف الإسلامي.

بدأت الدراسات الاستشراقية للعالم الإسلامي منذ عدة قرون في المعاهد والمدارس والجامعات الشرقية والغربية، لكنها في عهد الاحتلال

الأوروبي الحديث للعالم الإسلامي، الذي امتد من موريتانيا غربا إلى اندونيسيا شرقا، انتقلت هذه الدراسات من النظري إلى التطبيقي، انتقلت إلى أرض الواقع وأصبحت الدراسات، خاصة الصوفية، تتم في معاقل التصوف، وفي مدن وزوايا الطرق الصوفية، وبين أتباعها، وبين أضرحة أصحابها، وهذا ما حدث في مدينة الأبيض سيدي الشيخ بعد أن أحكم الاستعمار قبضته على الجزائر، وانتهت مرحلة المقاومة العسكرية، بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وقبيل الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت مرحلة أخرى من المقاومة.

وكما تحتضن اليوم مدينة الصوفي سيدي الشيخ، ومعقل زاويته وطريقته، لهذا الملتقى الذي تجتمع فيه نخبة من العلماء والمفكرين والباحثين والمهتمين بدراسة التصوف وتاريخه، فقد سبق إليها المستشرقون الفرنسيون الدارسون للتصوف غيرهم، وهذا كان منذ ثمانية عقود.

وإدراكا من المستشرقين الفرنسيين لأهمية المدينة ومكانتها ونفوذها الصوفي، تم اختيارها سنة 1933م، فقصدها كبار المستشرقين الفرنسيين المختصين في ذلك، وكانت إقامة كل واحد منهم بها تختلف حسب مكانته ومهمته، فمثلا عالم الإسلاميات والتصوف الإسلامي والمقارن «لويس جاردي» تطلبت إقامته بالأبيض عدة سنوات، ومن كانت مهمته تتطلب الاستشارة والتدخل في حالة الضرورة، كان حضوره يتطلب عدة اشهر، كما كان حال المستشرق المصري «جورج شحاتة قنواتي»، ومنهم من كانت مهمته تتطلب زيارة خاطفة ليوم واحد، كما كان حال رئيس الفريق وشيخ المستشرقين «القس لويس ماسينيون».

كان كل واحد من أولئك المقيمين بالأبيض سيدي الشيخ يحمل اسما مستعارا بين السكان غير اسمه الحقيقي، فروني فوايوم كان معروفا باسم «شيخ الخلوة»، ولويس جاردي كان معروفا باسم الأخ «ماري أندري» Marie- André وجورج قنواتي كان معروفا بسم «ماري مارسال» Marie -marcel، واونيزيم روتايو كان معروفا باسم «ميلاد عيسى».

## الأبيض سيدي الشيخ ومكانتها الصوفية

منذ وفاة سيدي الشيخ بمدينة الأبيض التي حملت اسمه، واحتضنت ضريحه ومركز زاويته وطريقته وأبنائه، أصبحت دائرة نفوذها تتسع ومكانتها تزداد بين الجزائريين عامة وقبائل الجنوب والمغرب خاصة، وهذه المكانة والنفوذ هو ما ميزها عن بقية المدن المجاورة لها، الأقدم منها تاريخيا، والأكبر منها حجما وسكانا، فهي مدينة الأضرحة والزوايا والزوار، وهي تشتهر بموسم سنوي وطني مغاربي يحتفل فيه بزيارة ضريح سيدي الشيخ، وتسمى التظاهرة «بركب سيدي الشيخ» وهذا الركب موجود منذ عدة قرون.

هذه المكانة والنفوذ الذي تتميز بها مدينة الأبيض هو ما جعلها محط أنظار المتصوفة والقادة العسكريين، ومن اشهر هؤلاء الذين قصدوها، مؤسس الطريقة التجانية أبو العباس احمد التجاني الذي أقام بها سبع سنوات قبل أن ينتقل لتلمسان ثم لفاس، وممن قصدها طالبا تضامنها ودعمها العسكري شيخ المقاومين الجزائريين الأمير عبد القادر الذي حل بها سنة 1845.

فمدينة الأبيض سيدي الشيخ هي مركز الطريقة الصوفية الشيخية الجهادية التي قدمت للجزائر مقاومتين ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر

هما مقاومة أولاد سيدي الشيخ الأولى بزعامة أبناء حمزة، سليمان بن حمزة، وإخوته محمد بن حمزة، واحمد بن حمزة، وقدور بن حمزة، والمقاومة الثانية بزعامة ابن عمومتهم الشيخ بوعمامة. ونفوذ ومكانة هذه المدينة الصوفية هو ما لاحظه وتوقف عنده الفرنسيون المدنيون والعسكريون، فقال عنها المستشرق الفرنسي لوشاتلييه Le Chatelier، في كتابه: «العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر» إن مكانة مدينة الأبيض سيدي الشيخ بالنسبة للجزائريين كمكة بالنسبة للمسلمين، وغير بعيد عن هذا الوصف، قال عنها مواطنه العسكري الماريشال ليوتي Louis Hubert Lyautey الحاكم العسكري لمقاطعة العين الصفراء سنة 1903م، ثم وهران لاحقا، وقائد الجيش الفرنسي لغزو المغرب فيما بعد، قال عن الأبيض بأنها «مكة الصغيرة» «la petite Mecque»[1].

## المستشرقون الدارسون للتصوف بالأبيض سيدي الشيخ

### أولا: روني فوايوم 1905 – 2003

ولد René voillaume (1905 - 2003 ) بتاريخ 19 جويلية 1905م بفرساي في عائلة متوسطة الحال، محافظة في المسيحية، ومنذ طفولته بدأت تظهر ميوله الدينية حيث تابع دراسته في مدرسة القديس جون لغاية حصوله على شهادة الباكالوريا سنة1921م، ونتيجة لميوله الدينية ادخل لمدرسة تبشيرية للأخوات البيض في نفس سنة نجاحه، فأخذ دورة تكوينية في الكهنوت والإلهيات لغاية سنة 1923م ثم أدخل لمدرسة الآباء البيض في الحراش بالجزائر، ومنذ سنة 1921م بدأ يقرأ ما كتبه René Bazin عن شارل دي فوكو فتأثر به كثيرا وأصبح مثله الأعلى كحال

(1) René Voillaume: Charles de Foucauld et ses premiers disciples: p.190.

ماسينيون، واقتنع بأن يسير على خطى راهب الصحراء الذي سيطر على روحه وأصبح لا يفارقه، فكان الطريق بالنسبة له طويلا وشاقا، وبعد تخرجه رسم قسيسا بتاريخ 29 جوان 1929م، ولرغبته في معرفة الإسلام فأمضى سنتين لدراسة العربية في تونس عند الآباء البيض، ليعود لتونس مرة ثانية، فأصبح يتقن اللغة العربية كتابة ونطقا.

حل روني فوايوم بالأبيض سيدي الشيخ سنة 1933م رئيسا لجمعية إخوة يسوع الصغار، والتي كانت تسمى في البداية بجمعية إخوة القلب الأقدس، فترأس الجمعية وأدار شؤونها إلى غاية سنة 1947، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية عاد لفرنسا، ولم ينقطع تردده على الأبيض سيدي الشيخ إلى غاية تسعينيات القرن الماضي، قبل أن يفقد بصره، وكانت وفاته بتاريخ 13 ماي سنة 2003م.

من أشهر كتبه كتابه في قلب الجمهور«Au Coeur des masse» الذي صدر سنة 1950م وترجم لأكثر من عشرين لغة، وبداية كتابتة كانت من مدينة الأبيض سيدي الشيخ وضواحيها.

**روني يختار مدينة سيدي الشيخ «الأبيض» :**

بعد ان حل روني فوايوم ضيفا على قيادة مدينة البيض في شهر ماي سنة 1933م، انطلق رفقة الملازم أول Bernard بزيارة مدينة الأبيض سيدي الشيخ، المدينة المميزة بمكانتها الصوفية، وبمجرد دخوله للمدينة التي قال عنها الماريشال الفرنسي ليوتي «مكة الصغيرة» أعجب بها على الفور، وقررا الاتصال بالجهات الرسمية، العسكرية، والمدنية، للإسراع في اتخاذ الإجراءات الإدارية والقانونية لإنشاء جمعيته والإقامة بالمدينة[1].

(1) René Voillaume: Charles de Foucauld et ses premiers disciples: p.187

حل روني فوايوم بالأبيض سيدي الشيخ يوم 3 أكتوبر 1933م، وأصبح يعرف في المدينة بين السكان باسم محلي مستعار اشتهر به هو «شيخ الخلوة» وهذا الاسم له دلالته الصوفية، فهو اسم محلي يطلق على المتصوف أي صاحب الخلوة، والاسم كان في الأصل يطلق على سيدي الشيخ، صاحب العشرات من الخلوات بالمنطقة، وعرف شيخ الخلوة بين السكان بمظهره العربي الإسلامي، إذ أطلق لحيته، وارتدى العباءة، والبرنوس، والعمامة، وسبحة مثبتة في حزامه، بها صليب صغير، أما مقر إقامته فأطلق عليه اسم «الخلوة» !!.

منذ تواجد روني «شيخ الخلوة» في مدينة الصوفي سيدي الشيخ، بدأ في العمل لدراسة التصوف الإسلامي، وأول لقاء تم بينه وبين إمام المسجد كان يوم الخميس 5 جويلية 1934م، ويذكر لنا كيف كانت معاملة الإمام له بتحفظ ككافر، ويظهر أن هذا اللقاء الأول كان للتعارف وكسب الثقة أكثر منه للتعلم، ثم في اللقاء الثاني بينهما يوم الأربعاء 18 من نفس الشهر، تطرق فوايوم مع الإمام للتعرف على قصيدة سيدي الشيخ الصوفية «الياقوتة» وقراءتها، والتعرف أكثر على حياة سيدي الشيخ، وبعد ذلك بتاريخ 7 سبتمبر 1934م بدأ فوايوم يقرأ للغزالي بمساعدة الإمام، وبعد سنة انتقل فوايوم من قراءة الياقوتة إلى محاولة ترجمتها إلى اللغة الفرنسية لأول مرة سنة 1935م، لكن ذلك لم يكن يسيرا، وكان الأمر يتطلب خبيرا في الترجمة يجيد اللغة العربية لمساعدته، فاستنجد بأستاذه المستشرق لويس ماسينيون، فأرسل له هذا الأخير بيار غرو Pierre Gros خريج مدرسة اللغات الشرقية بباريس، والموظف آنذاك بمعهد الدراسات الإسلامية العليا بالرباط، ليساعده على ترجمة قصيدة سيدي الشيخ «الياقوتة» غير أن هذه الترجمة لم يظهر لها أي أثر، ولم تنشر.

بعد دراسة التصوف المحلي والمتمثل في شخصية سيدي الشيخ وقصيدته الياقوتة وزاويته وطريقته، انتقل روني فوايوم لدراسة شخصية أبي حامد الغزالي، أحد كبار المتصوفة المسلمين، وصاحب كتاب» الإحياء»، والحقيقة أن اهتمامه بالغزالي كان مبكرا يعود لسنة 1934م، لكن دراسة الغزالي تتطلب التواصل والاستمرارية فهو مدرسة خاصة، تتطلب جهدا جماعيا ووقتا طويلا وكفاءة عالية.

بعد دراسة الياقوتة لسيدي الشيخ والإحياء للغزالي، جاءته رسالة من ماسينيون أبلغه فيها بقراءة كتب أخرى في نظره أهم من كتاب الغزالي، سنتطرق لها في حينها أثناء حديثنا عن ماسينيون.

**ثانيا : لويس ماسينيون 1883 – 1962 م.**

القس لويس ماسينيون هو عملاق الاستشراق الفرنسي وأحد عمالقة الاستشراق في العالم في القرن العشرين، ولد في ضواحي باريس سنة 1883م، أول بلد إسلامي زاره هو الجزائر سنة 1901م، وهو ابن الثامنة عشر من عمره، تحصل على ليسانس في الآداب سنة 1902م، واشترك في أفريل سنة 1905م في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بالجزائر، حيث عقد أواصر الصداقة مع المستشرق المجري اليهودي الشهير اجنار إسحاق جولدزيهر Ignaz Isaac Goldziher، الذي اعتبره ماسينيون واحداً من أساتذته، وفي 24 ماي 1907م اكتشف ماسينيون بالقاهرة شخصية صاحبه الذي انشغل به طوال حياته المتصوف الحسين بن منصور الحلاج.وفي نفس الفترة تخرج من المدرسة الوطنية للغات الشرقية بدبلوم اللغة العربية فصحى وعامية، وكان أحب أساتذته إليه في الاستشراق لو شاتولييه[1].

(1) نجيب العقيقي:المستشرقون ج 1 ص 263.

عاد ماسينيون للقاهرة سنة 1909م واستمع لدروس الأزهر باللباس الأزهري قبل أن تندبه الجامعة المصرية أستاذا بها سنة 1912 – 1913م، حيث قدم أربعين محاضرة، ثم عاد للجزائر سنة 1914م، وشارك في الحرب العالمية الأولى في حملة الدردنيل 1915م، تحصل على الدكتوراه حول المتصوف الحلاج، وكان بحثه يتكون من جزأين، ويحتوي على أكثر من ألف صفحة، ناقش رسالته بتاريخ 24 ماي 1922م[1]، وهذا التاريخ كان يوافق الذكرى الألف لصلب الحلاج، ثم أصبح أستاذ كرسي ومديرا للدراسات في المدرسة العليا من سنة 1926م إلى 1954م، وهو تاريخ تقاعده[2]، كما كان مديرا لمجلة العالم الإسلامي الاستشراقية منذ سنة 1927م.

لويس ماسينيون شخصية عالمية لا يكاد لا يسمع به بين الأوساط المثقفة، قال عنه عبد الرحمن بدوي :هو مستشرق عظيم، امتاز عن المستشرقين العالميين الكبار أمثال نولدكه وجولدزيهر بنفوذ النظرة وعمق الاستبطان، وقال عنه نجيب العقيقي أن له ستمائة وخمسون أثرا بين مصنف ومحقق ومترجم ومقال وتقرير ونقد، وقال عنه ادوارد سعيد انه لم يبلغ أي مستشرق عالمي مستوى ما بلغه ماسينيون، إذ حتى كبير مستشرقي بريطانيا جيب هاملتون كان يتراجع أمام ماسينيون [3]، فهو الكاتب والباحث والمفكر المتنقل باستمرار حول دول العالم وحواضره وجامعاته وملتقياته وندواته العلمية والفكرية، وهو عضو المجامع

(1) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص 367 وما بعدها.

(2) نجيب العقيقي : المصدر السابق، ص264.

(3) الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، ص 129.

العلمية واللغوية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، ، ومشارك فعال في كتابة دائرة المعارف الإسلامية، ، وهو مستشار وزارة الخارجية الفرنسية في اتفاقية سايكس بيكو، قبل أن يصبح مستشارا لها بصفة رسمية منذ27 مارس 1919م[1].

إذاً لا نستغرب إذا كان هذا العالم والمثقف الموسوعي العالمي يعرف مدينة الأبيض سيدي الشيخ قبل ثمانين سنة، بل كان يعرف عنها ما يجري فيها أكثر من سكانها، فعندما تم اختيار الأبيض من طرف روني فوايوم لإقامة جماعة إخوة يسوع، كان ماسينيون أول من أخبر باختيار المكان الصوفي، فكانت فرحة ماسينيون كبيرة، فرد على صديقه روني فوايوم في رسالة له بتاريخ 22 جوان 1933م يعرب له فيها عن سعادته وشكره له عن الخبر السار[2]:

.Très révérend père et ami ,merci de m›avoir annoncé la bonne nouvelle

وبعد أن استقر الإخوة في الأبيض، ورغم بعد المسافة بينهما وبين ماسينيون، كان هذا الأخير اقرب لهم من غيره، فكانت رسائله لا تنقطع عنهم، لا نقول أنها كانت تصلهم شهريا، بل أحيانا كانت تصلهم أسبوعيا.

كان ماسينيون الخبير في الإسلاميات عامة وفي التصوف الإسلامي خاصة، يشرف على مستشرقي الأبيض، وينظر لهم، ويستشيرونه في مشاكلهم، فيتدخل في إيجاد الحلول لهم، كان يتدخل فيما يتطلب منه التدخل مباشرة بأمره أو بنهيه، ويرسل من ينوب عنه في حال ضرورة الحضور، ففي البداية نصح ماسينيون روني بدراسة التصوف الإسلامي،

(1) نفس المصدر : ص 110.

(2) Keryell Jacques : Louis Massignon au Coeur de notre temps p. 217.

فعمل روني بوصية شيخه، وعندما تطلب العمل خبيرا في الترجمة العربية، لم يكن بمقدور ماسينيون المنشغل دوما أن يحضر شخصيا للأبيض، وفي رسالة له لروني بتاريخ 19 جوان 1935م وبعد ظهور صعوبة حقيقية في فهم اللغة العربية وترجمتها، أخبر ماسينيون شيخ الخلوة بأن بيار جرو Pierre Gros خريج مدرسة اللغات الشرقية بباريس، والموظف آنذاك بمعهد الدراسات الإسلامية العليا بالرباط، في طريقه إلى الأبيض وبإمكانه تقديم الدعم والمساندة له.

وبعد سنتين من دراسة الياقوتة لسيدي الشيخ، وبمساعدة من الإمام وبيار جرو، تمت ترجمتها، غير أننا نلاحظ عدم رضى ماسينيون عن تلك الترجمة في تعليق له عليها، فهو يرغب في أن تكون الترجمة تجمع بين الشكل والمنهج والمضمون، واعتقد أن ذلك كان وراء عدم نشرها.

وبعد سنة من إرسال بيار جرو للأبيض للمساعدة على ترجمتة النصوص الصوفية، يرسل ماسينيون مرة أخرى رسالة لشيخ الخلوة بتاريخ 21 ماي 1936م يعرب له فيها عن سعادته لدراسات التصوف التي يتابعها بمدينة الأبيض سيدي الشيخ، خاصة دراسة المتصوف الغزالي (المتوفى في 14 من جمادى الآخرة 505هـ = 18 من ديسمبر 1111م. )، لكن ذلك لا يكفي في نظر الخبير، وكعادته يتدخل بالتوجيه والنصح إلى قراءة مجموعة من الكتب المهمة والقيِّمة في التصوف الإسلامي، وهي أقدم من الإحياء تاريخيا، منها كتاب «التعرف لمذهب أهل التصوف» للأبي بكر الكلاباذي[1]، ويخبره أن هذا الكتاب طبع حديثا بالقاهرة قبل سنتين، والترجمة الإنجليزية صدرت له مؤخرا،

(1) المتوفى ببخارى سنة 380 هـ.

وينبه ماسينيون روني كذلك لقراءة كتاب الراية للمحاسبي[1].. ويخبره أن الآنسة مارغريت سميث ستنشره لاحقا، وأخيرا قراءة رسائل الاتجاه الروحي لابن عباد الرندي[2]... المطبوع بفاس، ويذَكِّر ماسينيون فوايوم بأنه تعرض لمقتطفات منها في مختاراته سنة 1929م، وينصحه بأنه يمكنه أخذ معلومات منها حول علم اللاهوت الروحي عند المفكرين المسلمين[3]، ويظهر هنا أن ماسينيون واسع الإطلاع والمتابعة لكل ما تتم دراسته وطبعه في العالم حول التصوف الإسلامي.

وبعد أن تطور المستوى وتعمق البحث والدراسة في فكر التصوف الإسلامي وفلسفته في الأبيض سيدي الشيخ، ظهرت مشاكل جدية ونوعية في الفكر الفلسفي الإسلامي، فترجمة الأفكار والفلسفات ليست بالسهلة، وتطلب الأمر إيجاد خبير عربي في الترجمة وفي علم اللسانيات وفقه اللغة، وعلى ماسينيون أن يتصرف، وتدخل فعلا، واختار هذه المرة شخصية ذات كفاءة عربية وعلمية للقيام بالمهمة، وهي كذلك محل ثقة، فأرسل للأبيض سيدي الشيخ جورج شحاته قنواتي العربي المصري المسيحي، الدارس للصيدلة في بيروت، وللهندسة الكيميائية بفرنسا، وللفلسفة في بلجيكا، وللأدب في الجزائر، فهو الأقدر والأكفأ ليقوم بتقديم الدعم والمساعدة لزملائه في الأبيض.

وأخيرا يعترف «شيخ الخلوة» بأنه فعل كل ما بإمكانه فعله لمعرفة اللغة العربية والروح الدينية للمنطقة كما كان يطالب بذلك ماسينيون.

---

(1) متوفى ببغداد سنة 243 هـ.

(2) الاندلسي المتوفى بفاس سنة 733هـ797-هـ.

(3) Keryell Jacques : Louis Massignon au Coeur de notre temps p. 225.

**لويس ماسينيون يزور الأبيض رفقة زوجته :**

وبمناسبة انعقاد اجتماع جمعية شارل دي فوكو ببني عباس، أصرَّ ماسينيون على زيارة المدينة الصوفية الأبيض سيدي الشيخ رفقة زوجته والوفد المرافق له وعلى رأسه الأسقف Mercier المكلف بالصحراء، ورئيس أساقفة أيكس اوبروفانس Charles de Provenchère، وأسقف مدينة مونتبوليي Duperray، ليحل الجميع في طائرة خاصة من نوع DC3 تابعة للخطوط الجوية الفرنسية، وهي من أحدث الطائرات آنذاك، استأجرت من وهران إلى الأبيض سيدي الشيخ، الذي حطت به يوم الاثنين 14 نوفمبر 1955م، على الساعة العاشرة وأربعين دقيقة صباحا، حيث كانت سلطات البيض والأبيض سيدي الشيخ المدنية والعسكرية في استقبال الضيوف الذين نصبت لهم خيمة للاستقبال بالمطار، وبعد شربهم للشاي، قاموا بزيارة إلى « الخلوة» وهو مقر إخوة يسوع الصغار قبل تناول طعام الغداء، ليواصل ماسينيون رحلته مساء إلى بني عباس.

**ثالثا : لويس جاردي 1904 – 1986 :**

استقر لويس جاردي في مقر جماعة «إخوة يسوع الصغار» بالأبيض سيدي الشيخ، بعد أن تعرف على روني فوايوم لأول مرة بالحراش، في افريل سنة 1933م[1]، ليصبح جاردي مثقف المجموعة وأستاذها، وأصبح يحمل اسما مستعارا عرف به، هو الأخ ماري أندري frère Marie André [2]، ومنذ سنة 1936م أصبح أحد قادة الأخوية، ومرشدها الديني، والمعلم المذهبي، والمكلف بالتكوين الفكري للطلبة[3]، وكان

(1) René Voillaume: Charles de Foucauld et ses premiers disciples, 187.

(2) Keryell , Jacques : louis Massignon et ses contemporains. p 115.

(3) René Voillaume: Charles de Foucauld et ses premiers disciples ,p.266.

يقدم دروسا في الأخوية بالأبيض عن الإسلام والتصوف[1].

كان جاردي يتحمل مسؤولية الأخوية أثناء غياب رئيسها روني فوايوم، ومن مدينة الأبيض كانت أول مقالاته، وكتاباته حول التصوف، ومن الأبيض تبادل رسائله مع أستاذيه ماسينيون وماريتان، وكذلك زميله وشريكه لاحقا في بعض المؤلفات حول التصوف جورج شحاتة قنواتي[2].

منذ وصول لويس جاردي إلى الأبيض سيدي الشيخ، انكب على قراءة التصوف الإسلامي بداية من دراسة قصيدة سيدي الشيخ الصوفية «الياقوتة» مع زميله روني فوايوم وجاك غرو، الذي أرسله لويس ماسينيون لمساعدتهما، والذي اشرنا إليه سابقا، ثم بدأ في دراسة الغزالي وكتابه الإحياء الشهير، قبل أن يطلب منه ماسينيون قراءة كتب أهم من كتاب الإحياء تاريخيا منها كتاب «الراية» للمحاسبي الذي عاش في القرن الثاني للهجرة، وكتاب «التعرف» لأبي بكر الكلاباذي، الذي عاش في القرن الرابع الهجري، وهو من أهم كتب التصوف حتى قيل عنه، من لم يعرف التعرف، لا يعرف التصوف، وهذا الكتاب احتاج فيه جاردي أكثر من غيره للمساعدة، فكان أول عمل مشترك لدراسة التصوف بينه وبين زميله جورج قنواتي في الأبيض، حيث تعاونا في ترجمته.

لم يكن جاردي يقيم بالأبيض بصفة متواصلة، بل كان يتنقل للعاصمة بحثا عن المصادر والكتب التي يحتاجها، خاصة في فصل الصيف الشديد الحرارة، الذي لم تكن حالته الصحية تتحمله، وبعد نهاية الحرب

(1) René Voillaume: Charles de Foucauld et ses premiers disciples , p. 384.

(2) les Fréres prêcheurs p. 419

العالمية الثانية سنة 1946م سافر جاردي إلى فرنسا وروما رفقة زميله روني، وتركا خلفهما ميلاد عيسى مسؤولاً عن الأخوية بالأبيض سيدي الشيخ.

وبعد مغادرة جاردي للأبيض نهائيا سنة 1947م، استقر بمدينة تولوز، ليختص في تدريس الفلسفة المقارنة والتصوف الإسلامي والإسلاميات إلى غاية تقاعده سنة 1977، كما ألقى سلسلة محاضرات في المعهد البابوي للدراسات العربية في روما، وفي جامعات الرباط، والجزائر، والقاهرة، وبيروت، وقام برحلات علمية إلى العراق، وإيران، وسورية، واشترك في معظم المؤتمرات الاستشراقية الدولية، والإقليمية والجامعية، وتولى مع المستشرق ايتين جيلسون الإشراف على سلسلة الدراسات الإسلامية التي تطبع في باريس، وشارك في كتابة دائرة المعارف الإسلامية، وكوفئ مع زميله قنواتي بالدكتوراه الفخرية[1].

وهكذا أصبح لويس جاردي Louis gardet خريج الأبيض من أبرز وأشهر مستشرقي فرنسا بعد ماسينيون في دراسة التصوف الإسلامي، والتصوف المقارن، والثقافة الإسلامية عامة.

وما لفت انتباهي أن بعض من قرأت لهم من مؤرخي الاستشراق، الذين كتبوا على لويس جاري، لم يشيروا لا من قريب ولا من بعيد لفترة حياته بالأبيض، وهي مدة طويلة، حوالي خمس عشرة سنة تقريبا، وعلى رأس هؤلاء نجيب العقيقي صاحب موسوعة المستشرقين بأجزائها الثلاثة، تكلم في الجزء الثالث منها عن لويس جاردي في ثلاث صفحات تقريبا، ولم يشر لهذه الفترة لا من قريب ولا من بعيد، واعتقد انه لم يكن يعلم بذلك.

(1) نجيب العقيقي :المستشرقون، ج. 3

من آثار جاردي التي كتبها حول التصوف وغيره وهو مقيم بالأبيض سيدي الشيخ قبل مغادرته لها نهائيا لفرنسا: العقل والإيمان في الإسلام (المجلة التوماوية 1937م) نص من الغزالي ترجمة وتعليقا سنة 1938م، فكرة لابن سيناء 1939م، والتعاون في مجتمع شمال إفريقيا( مركز دراسات البربر- الجزائر 1942)، والملة الإسلامية -في ملامح الملة (باريس 1944) والإنسانية الإسلامية أمس واليوم ( معهد الآداب العربية تونس 1944)[1].والمعرفة وحب الله بحسب بعض نصوص صوفية من أوائل عصور الهجرة (المجلة التوماوية 1946)، والإنسانية الإسلامية والإنسانية المسيحية (مونتريال 1946)، والإسلام والديموقراطية (المجلة التوماوية La revue thomiste 1946، ومقدار حريتنا : فصل من علم أصول الدين الإسلامي (مجلة الآداب العربية تونس 1946)، والملكية في الإسلام سنة 1947، وحول الفقه الإسلامي[2] (المجلة التوماوية 1947)، والمدخل إلى علم أصول الدين الإسلامي بمعاونة قنواتي.

وأهم ما كتبه عن التصوف بعد مغادرته للأبيض سنة 1947م: نبذة عن التصوف الإسلامي سنة 1949، والتصوف الطبيعي والتصوف فوق الطبيعي في الإسلام ( باريس 1950)، وجوهرة التوحيد لابراهيم الباجوري[3]، بمعاونة الأب قنواتي، والتوكل للغزالي، ترجمة وتعريفا (مجلة معهد الآداب العربية 1950)، [4]والتجربة الصوفية في نظر ابن

(1) نجيب العقيقي : مصدر سابق ص 280.

(2) نفس المصدر ص 281.

(3) ٠كان شيخا للأزهر وتوفى في القرن الثالث عشر الهجري 1277هـ.

(4) نجيب العقيقي : المستشرقون، ج 3، ص.

سينا سنة 1951، والمعرفة الصوفية لدى ابن سينا( المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة 1952)، وذكر اسم الله في التصوف الإسلامي سنة 1953م، ومشكلة التصوف المقارن سنة 1953، والتجارب الصوفية بالأراضي غير النصرانية 1953، والمدنية الإسلامية، حياة اجتماعية وسياسية( الدراسات الإسلامية ج 1، باريس 1954)، واللغة العربية وتحليل الحالات الروحية (منوعات ماسينيون ج.2، 1957)، وموضوعات ونصوص صوفية 1958، والتصوف الإسلامي بمعاونة قنواتي(مجموعة تاريخ علوم الدين، تورينو 1960)، وابن عربي (القاهرة 1968)، والتصوف، باريس 1970، ودراسات في الفلسفة والصوفية المقارنة ( مجموعة مكتبة تاريخ الفلسفة باريس 1972).

**رابعا : جورج شحاتة قنواتي 1905 – 1994م.**

ولد جورج شحاتة قنواتي بالإسكندرية سنة 1905م لأبوين من أصل سوري، تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1922م، ليلتحق بعد ذلك بكلية الصيدلة في جامعة القديس يوسف اليسوعية ببيروت سنة 1926م، ليواصل دراسته بفرنسا بجامعة ليون Lyon ويتخرج منها سنة 1928 بشهادة الهندسة الكيميائية، ثم تفرغ بعد ذلك للكنيسة وانضم للرهبنة ولبس لباسها أول مرة يوم 4 ماي 1934م، بعد ذلك درس الفلسفة من 1935–1937 في بلجيكا، ثم درس علم اللاهوت في جامعة الدومنيكان، وحصل على الدكتوراه سنة 1941 م، بعد ذلك انتقل إلى الجزائر واستقر بها مدة أربع سنوات من 27 أكتوبر 1941 إلى 19 أوت 1944م، ولم يكن اختيار الجزائر عفويا، بل بعد إلحاح ومفاوضات مع لويس ماسينيون، ليتخرج منها بشهادة ليسانس في الآداب، بعد حصوله

على الدكتوراه في الفلسفة وفي اللاهوت، وكان رئيس تحرير مجلة أفريكا الدومينيكانية L'Afrique dominicaine.

كان قنواتي مهتما بدراسة الإسلام من زاوية التصوف والفلسفة، والتصوف المقارن وعلم العقائد أو اللاهوت، بحكم كونه عربيا مسيحيا دارسا للاهوت والفلسفة واللغة، وكان يعتمد على خدماته كثيرا، وهذا ما تعكسه كثرة ترحاله وتنقلاته للمؤسسات الثقافية، أو من خلال كثرة تبادل رسائله مع المستشرقين الذين كانوا في حاجة لخبرته، فمثلا هناك عشرات الرسائل كان يتم تبادلها بينه وبين جاردي في الأبيض إلى درجة أنها كانت أحيانا أسبوعية، كما حدث في شهر نوفمبر 1942م، أي بعد مغادرته للأبيض سيدي الشيخ، وهذا يعكس الحاحية المسائل العلمية والفكرية التي تتطلب خبرته وتدخله.

وفي الجزائر التقى قنواتي الذي كان يعرف باسم «Marie -marcel» مع المستشرق ليفي بروفنسال في المركز الإسلامي بكلية الآداب، وكذلك مع المونسينيار Mercier [1] رئيس الآباء البيض، الذي طلب من قنواتي وجاردي ترجمة كتاب رسالة الباجوري « شرح الجوهرة المفيد في علم التوحيد»، بالإضافة لبعض الأعمال التي نشرها في المجلة التي تصدر بالنادي التوماوي.

كان قنواتي عميدا للمعهد الدومينيكي للدراسات الشرقية بالقاهرة، وفي سنة 1972 كلفته منظمة اليونسكو بوضع دراسة عن الاتجاهات الفكرية المعاصرة في الوطن العربي[2]، كونه خبيرا في الشؤون العربية،

(1) درجة كهنوتية كاثوليكية، وهي بمثابة أسقف.

(2) نجيب العقيقي :مصدر سابق ص 270.

وبعد وفاته ترك دير الآباء الدومينيكان مجهزا بمكتبة بها أكثر من مائة ألف كتاب، وأكثر من ستمائة وخمسين مخطوطا.

كانت جماعة «إخوة يسوع الصغار» بالأبيض سيدي الشيخ بزعامة روني وجاردي تعاني من مشكلة عدم وجود شخصية علمية عربية ذات فقه لغوي واسع، يعتمد عليها في التعامل مع الفكر الإسلامي المعمق، الفلسفي، والصوفي، وكانوا في أمس الحاجة لشخصية خبيرة مثل قنواتي العربي المسيحي، فبأمر من ماسينيون، وبطلب من جاردي، حل قنواتي بالأبيض سيدي الشيخ أين تنتظره ترجمة مسائل فكرية ولغوية، هم في أمس الحاجة لحلها.

حل جورج قنواتي بالأبيض سيدي الشيخ في صيف سنة 1942م بتاريخ 9 جوان / يونيو، وبقي بها إلى غاية 15 أيلول/ سبتمبر من نفس السنة، أي بعد سبعة أشهر منذ وصوله لمدينة الجزائر، وفي الأبيض التقى بصديقه لويس جاردي، وهو أول لقاء يجمع بينهما، ومنذ ذلك عملا معا على ترجمة وشرح وحصر الأعمال الكاملة عن التصوف وعلم الكلام الإسلامي باللغة الفرنسية حتى تتعمق معرفتهم أكثر بهذه العلوم.

مكث قنواتي في الأبيض سيدي الشيخ ثلاثة اشهر، رغم أنه كان يتوقع أن تكون المدة أقصر، وأثناء إقامته بمركز الأخوية بالأبيض كان كما يقول، يقوم بعمل جماعي يوميا خلال عدة ساعات مع الأخ بيار Pierre والأخ ألبار le frère Albert، بالإضافة للويس جاردي، وبدل مدة خمسة عشر يوما التي كان يتوقعها، تطلب عمله مع الإخوة أكثر من ثلاثة اشهر، ومن أهم الأعمال التي قام بها، ترجمته لكتاب أبو بكر الكلاباذي[1]، وكتب مقالا على ذلك بعد خمس سنوات نشره في مجلة

(1) René Voillaume: Charles de Foucauld et ses premiers disciples p. 287.

النادي التوماوي، حيث تحدث فيه عن جاذبية مكان الأخوية المختبئ في الصحراء في الأبيض سيدي الشيخ، والذي يعد من أحسن ألاماكن في العالم لمعرفة التصوف الإسلامي[1].

بعد مغادرة قنواتي للأبيض سيدي الشيخ، بعث زميله لويس جاردي رسالة لأستاذهما ماسينيون الذي كان يتابع عملهما، ليطلعه على الأمر، وليقيِّم له ما قام به قنواتي قائلا له : أن الأب مارسيل غادر الأبيض سيدي الشيخ بعد إقامة طيبة لمدة ثلاثة أشهر، وكانت الصداقة معه عميقة ووثيقة[2]، وتواصل عملهما فيما بعد بالحراش، ثم خارج الجزائر بعد إكمال دراسته بها.

وأثناء وجود قنواتي بالأبيض سيدي الشيخ أعجب «شيخ الخلوة» بضيفه العربي الذي تفاخر به على السكان، فهم كما يقول فوايوم، لأول مرة يتصلون مع عربي مصري مسيحي يعرف العربية والإسلام أفضل منهم.

ونتيجة جهود قنواتي وجاردي المشتركة نشر اشهر عمل لهما معا هو :مقدمة في علم الكلام الإسلامي، باريس 1948م، وتمت ترجمته بعد ذلك إلى العربية في ثلاثة أجزاء، تحت عنوان : فلسفة الفكر الديني، ومنحت جامعة Louvain البلجيكية 1978م الدكتوراه الفخرية لقنواتي، وكذلك نال الدكتوراه الفخرية من الجامعة الكاثوليكية بواشنطن سنة 1984.

(1) Avon ,Dominique :Les frères prêcheurs. p. 420.

(2) Avon ,Dominique :Les frères prêcheurs. p..420

**خامسا : ميلاد عيسى 1912 – 1984م.**

اسمه الحقيقي هو أونيزيم روتايو Onésime Retailleau، ولد سنة 1912م بمقاطعة فوندي(vendeé) بالقرب من مدينة نانت الواقعة في غرب فرنسا، وبجامعة مدينة نانت واصل اونيزيم دراسته في التيولوجيا مدة ثلاث سنوات، وبقيت له سنتان أكملهما بمدينة الأبيض سيدي الشيخ تحت إشراف لويس جاردي، بعد التحاقه بها بتاريخ 30 أكتوبر 1935م.

التحق اونيزيم روتايو بالأبيض سيدي الشيخ بعد سنتين من مجيئ روني فوايوم ولويس جاردي، ومنذ أيامه الأولى في الأبيض ظهر تميزه وتحمسه ونشاطه، فأرسل «شيخ الخلوة» تقريرا للمونسينار نوي المسؤول الديني عن الصحراء يلفت فيه الانتباه لتميز الطالب الجديد «روتايو»، وبالأبيض سيدي الشيخ أصبح ميلاد أول تلميذ للمستشرق لويس جاردي[1]، فظهرت نجابته، وتفوق على بقية الطلبة الآخرين، وأصبح يخلف رئيس الأخوية أثناء غيابه، ليصبح فيما بعد، المسؤول الأول عن الأخوية بالأبيض بعد مغادرة فوايوم لها.

وفي الأبيض سيدي الشيخ، وبتاريخ 25 ديسمبر 1936م، وبمناسبة عيد الميلاد، استبدل ميلاد اسمه الحقيقي اونيزيم روتايو باسم الأخ نوال Frère Noël، بعد تبادل الاسم مع الأخت نوال Noëlle إحدى الأخوات التي كان لها اتصالا وثيقا به، فأصبحت تسمى الأخت اونيزيم sœur Onésime، وهو أصبح يحمل اسم الأخ نوال frère Noël، وكان يعرف بين السكان ببار Père نوال، ليصبح «بير الويل» فقرر تعريب اسمه، ليتحول من نوال إلى ميلاد عيسى.

(1) René Voillaume: Charles de Foucauld et ses premiers disciples p. 265.

وبعد أربع سنوات من وصول ميلاد للأبيض سيدي الشيخ، وبعد جهد واجتهاد، أثبت فيهما كفاءته، وكللت جهوده بالنجاح، فاتخذ قرار ترسيمه قسا، وتم ذلك بالأبيض سيدي الشيخ بتاريخ 28 ماي 1939م على يد رئيس الأساقفة لينو Leynaud القادم من مدينة الجزائر خصيصا للمناسبة[1]، فكان ميلاد أول وآخر من رسم قسا بالأبيض.

ويعد ميلاد أبرز خريجي الأبيض دراسة وتكوينا، تخرج على يد لويس جاردي، وروني فوايوم، وهو أول من تكفل بمسؤولية أخوية الأبيض سيدي الشيخ ممن تكونوا بداخلها، وعندما غادر رئيس الجمعية روني فوايوم ولويس جاردي مركز الأبيض نهائيا سنة 1947م، تحمل ميلاد عيسى المسؤولية مباشرة مدة خمسين سنة، إلى غاية وفاته.

اهتم ميلاد بتكوين المكونين بمركز الأخوية بالأبيض إلى غاية سنة 1956م، بالإضافة إلى نشاطه كممرض، وأحيانا كطبيب في المدينة منذ مجيئه، والى غاية ثمانينات القرن الماضي، حيث كان يتنقل يوميا على متن دراجته النارية من بيت لآخر ومن حي لآخر لعلاج المرضى، وكانت له علاقات اجتماعية قوية مع السكان، وأصبح ميلاد عيسى الرجل الأول في أخوية الأبيض سيدي الشيخ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، والى غاية وفاته بها بسكتة قلبية في 8 ديسمبر1984م[2]، حيث دفن بالمدينة التي قضى بها حياته، واشرف على جنازته ودفنه أسقف وهران المونسينيار بيار كلافري Mgr Pierre Claverie بدل أسقف الصحراء Le Père Jean-Marie Rimbaud الذي كان غائبا في مهمة بمصر.

(1) René Voillaume: Charles de Foucauld et ses premiers disciples p. 268.

(2) René Voillaume: Charles de Foucauld et ses premiers disciples.p.398.

كان لميلاد اهتمامـات بدراسة التصوف الإسلامي المحلي، فحاول أن يجمع ويقارن بين الوثائق التاريخية والروايات الشفوية، فاهتم بالبحث والتنقيب عن شخصية سيدي الشيخ، والبحث عما تتناوله الروايات الشفوية، وما تحتضنه الذاكرة الشعبية، فكان يتصل بشيوخ الاعراش والقبائل ويحاورهم ويستفسر منهم عن مواضيع اهتماماته، من أهم آثاره كتابه : الياقوتة قصيدة صوفية، لصاحبها عبد القادر بن محمد، المعروف شهرة بسيدي الشيخ، تعرض في كتابه للقصيدة متنا وترجمة من العربية للفرنسية، وعلق على بعض الأسماء والتواريخ والأحداث، ولم ينشر كتابه إلا بعد وفاته من طرف المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة 1986م.وقبل ذلك صدر له كتاب آخر سنة 1971م عن راهب الصحراء الفرنسي الأب شارل دي فوكو تحت عنوان: ce que croyait charles de foucauld، وما يلفت الانتباه أن ميلاد لم يكتب اسمه على غلاف الكتاب كمؤلف، لكنه كتب «أخ صغير ليسوع» وكتب مقدمة هذا الكتاب زميله»شيخ الخلوة» روني فوايوم، ومن خلال هذا الكتاب وكتاب الياقوتة، يظهر اهتمام ميلاد بالتصوف والتصوف المقارن كما كان أستاذه لويس جاردي.

# مميزات عصر سيدي الشيخ

د. مجدوب مساوي – جامعة معسكر

**تمهيد:**

تزامن عصر سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد بالجزائر مع قيام الحكم التركي العثماني بها، والذي كانت بداياته منذ سنة 918هـ – 1512م، عندما عجز سكان سواحل الجزائر الدفاع عن مدنهم واسترجاعها من الأسبان لضعف قدراتهم العسكرية، وعجز الزيانيين عن رد الغزاة، بداية هذا كان تلبية لنداء الإغاثة الذي طلبه سكان الجزائر من الأخوين المسلمين عروج وخير الدين من جهة، وتأدية منهم لواجب الجهاد في سبيل الله، وحماية المسلمين من عدوان المسيحيين، والثأر للأندلسيين من جهة ثانية[1]. وقد تمكن الأخوان من تحقيق النصر على الأسبان في مدينة الجزائر سنة 922هـ – 1516م مما أدى إلى خضوعها وضواحيها عن طواعية لعروج[2] ليشرع بعدها في تنصيب حكومة جديدة بها، ثم

(1) التميمي عبد الجليل، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م، المجلة التاريخية المغربية، ع 6، جويلية 1976م، تونس، ص 117

(2) وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816 – 1824، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ش، و،و ن، ت، الجزائر، 1982، ص33، عزيز سامح إلتز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ – 1989، ص 50

يواصل فتوحاته داخل الجزائر محققا في ذلك انتصارات إلا أن مقتله سنة 924هـ - 1518م أجبر خير الدين على التكفل بإدارة شؤون كل البلاد بعد أن تنازل على فكرة مغادرتها. إذ لقي كل الدعم من سكان الجزائر وأعيانها من العلماء والصلاح والمشايخ، الذين كاتبوا السلطان العثماني سليم الأول بغرض صرف طاعتهم إليه بإمرة خير الدين الذي كاتبه هو أيضا بدوره، وكان له ما أراد من الباب العالي الذي منحه لقب باشا، وعينه أميرا للأمراء (بايرباي)، ومده بالإعانة من جند وسلاح. كما أصدر السلطان سليم مرسوما حدد بموجبه الجزائر كإيالة تابعة للدولة العثمانية[1]، هذه التطورات التي عرفتها الجزائر هل وصلت تأثيراتها إلى بيئة ومجتمع سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد أم أنها كانت في منأى عنها؟ وما هو موقف سيدي الشيخ عنها؟

## أ - عصر سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد بالجزائر والمغرب الأقصى:

التطورات السياسية والأحداث التاريخية الهامة التي عرفتها الجزائر خلال بدايات القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، والتي عرفت فيها الجزائر الحكم التركي العثماني لم تكن فيها منطقة الجنوب الغربي الأعلى عامة، وقصرا الشلالة الظهرانية وفجيج خاصة في منأى عنها باعتبارهما جزءا لا يتجزأ من الجزائر. وقبل أن نتعرف على تأثير هذه التطورات والأحداث على المنطقة، لابأس أن نعرّفها جغرافيا، كونها كانت تمثل البيئة الجغرافية التي عاش واستقر فيها سيدي الشيخ

(1) عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلاد، ج 1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1427هـ - 2006، ص 23

عبد القادر بن محمد طيلة حياته. إذ ظل متنقلا بزاويته بين قصور منطقة الجنوب الغربي الأعلى، بين قصر حاضرة فجيج مركز إقامته في الغرب، وقصور الشلالة والأبيض موطنه في الشرق. إذ كان يمثل هذا المجال الجغرافي منطقة واحدة على ما هو شائع على الألسن لدى أهالي هذه المنطقة.

هذه المنطقة التي مثلت موقعا استراتيجيا هاما، باعتبار أنها شكلت همزة وصل ومنطقة عبور وانتقال بين التل في الشمال، والساورة وتوات وكورارة في الجنوب. وبهذا تكون متداخلة مع المجالين، فقسمها الشمالي عبارة عن هضاب عليا، وقسمها الجنوبي عبارة عن هوامش للصحراء في شمالها. كما كانت كذلك همزه وصل بين قصور فجيج في غربها والصحراء الوسطى الجزائرية عند حاضرة الأغواط وأحوازها في شرقها.

يغلب على هذه المنطقة الطابع الجبلي المحيط بها من كامل الجهات، فالقصور تقع بين أحضان سلاسل الأطلس الصحراوية متمثلة في قصور فجيج، بني ونيف، مقرار التحتاني، الصفيصفة، عسلة، عين الصفراء، تيوت، الشلالة الظهرانية، مقرار الفوقاني، أربا الفوقاني، أربا التحتاني، الأبيض سيدي الشيخ، كراكدة، الغسول، بريزينة وستيتن... [1]

هذه الوضعية الجغرافية الممتازة للقصور وسط جبال سلاسل الأطلس الصحراوي، كانت عاملاً طبيعيًا أساسيًا في توجيه تاريخ المنطقة عبر قرون. إلى جانب عيون الماء المتفجرة وسط قصورها والتي كانت

(1) François COMINARDI, au coeur des monts des ksours, le KSAR de chellala dahrania, in tradition et modernité, révue d›architecture et d›urbanisme, n°2, Alger, 1995, P45

الأساس الذي قامت عليه الحياة في المنطقة مستقطبة عناصر سكانية متباينة متمثلة في العناصر البربرية الزناتية والصنهاجية التي غلب على نمط عيشها الاستقرار وممارسة الفلاحة، والعناصر العربية كحميان، أولاد جرير، ذوي منيع والعمور... والتي اعتمدت في حياتها على التنقل والترحال معتمدة على الماشية كمصدر رزق.

هذه العوامل السالفة الذكر أكسبت المنطقة أهمية اقتصادية، إذ جعلت منها مراكز تجارية باعتبارها ممرات لقوافل تجارة السودان، وأسواقًا مقصودة من قبل الأعراب، مما انعكس بالإيجاب عليها إذ عم الرخاء الاقتصادي بها[1]، كما أكسبتها أهمية دينية وثقافية، كون أقطاب الصوفية اختاروها كقواعد لتأسيس زواياهم، ونشر مبادئ وتعاليم طرقهم خصوصاً خلال القرنيين التاسع والعاشر هجريين/ الخامس عشر والسادس عشر ميلاديين، ونجد في هذا مثلاً سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد مؤسس الطريقة الشيخية نموذجًا لهؤلاء الصلاح. زد على هذا أن المنطقة كانت معبرًا رئيسيًا ومحطات استراحة لقوافل الحجاج القادمين من المنطقة الجنوبية والغربية نحو الشرق[2].

أما عن التطورات السياسية التي عرفتها الجزائر من قيام حكم تركي عثماني وما صاحبه من تغيرات وإصلاحات في مجالات عديدة. فإن منطقة القصور عامة، وقصري الشلالة الظهرانية وفجيج خاصة لم يكونا في منأى عنها بالرغم من أنها ظلت متفلتة من السلطة السياسية، وهذا

(1) أحمد مزيان، فجيج «فكيك» مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر 1845 – 1903، مطبعة فجر السعادة، 1988، ص 25

(2) المرجع نفسه، 26

ما يذكره ناصر الدين سعيدوني: «إن مجموعات سكانية كانت ممتنعة من سلطة البايليك، وكانت تتألف أغلبها من القبائل التي كانت تعيش في المناطق الجبلية الحصينة... أو التي كانت تجوب جهات الهضاب الوهرانية ومناطق الأطلس الصحراوي (أولاد نائل والعمور والقصور)، وتخوم الصحراء...»[1]. فمن خلال قول سعيدوني نفهم أن منطقة القصور والأطلس الصحراوي ومنه قصر الشلالة الظهرانية موطن سيدي الشيخ، وقصر فجيج مركز إقامته ظلتا مستقلتين عن النفوذ العثماني. لكن يبقى هذا أمرا ظاهريا فقط لكون الواقع كان عكس ذلك، فالنسبة لقصر فجيج فقد فرض العثمانيون الأتراك حكمهم به منذ أن انهارت حاضرة الزيانيين تلمسان على أيديهم[2]، وبالتالي تبعية جميع المناطق التي كانت خاضعة لحكمهم، ومنه قصر فجيج الذي ارتبط بالجزائر منذ زمن قديم، وكانت الجزائر تأخذ منه ضريبة. هذا الارتباط نجد له مبررا أيضا من خلال رد فعل الأتراك العثمانيين السريع في أول محرم 991 – 1583م على حملة أحمد المنصور على قصر فجيج سنة 990هـ – 1582م. والذي أراده أن يكون محطة استراحة وانطلاق لفتح تواب وتيكورارين. رد الفعل هذا كان جد طبيعي من طرف الأتراك العثمانيين كون القصر مرتبط بالجزائر مند زمن قديم. أين أجرى اتفاق فيما بينهما ينص على مغادرة الأتراك العثمانيين لأرض فجيج مقابل ماقيمته عشرون مائة دينار نصفها سلعة ونصفها دراهم[3].

(1) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج 4، م، و، م، الجزائر، 1984، ص109

(2) بن خروف، المرجع السابق، ص ص 35 – 36

(3) إلتر، المرجع السابق، ص 265

نعتقد أيضا أن هذا الاتفاق ومن ورائه انسحاب الأتراك العثمانيين واقتناعهم بمحتوياته بينهم وبين أهالي فجيج كانت فرصة سانحة للسعديين بأن يربطوا المنطقة بحكمهم، وبصفة خاصة في عهد الأمير زيدان ابن أحمد المنصور الذهبي، الذي كان ما تردد على العثمانيين بتلمسان طالبا يد العون منهم قصد استعادة ملكه لما قام ضده أخوه أبو فارس سنة 1012هـ - 1603م، نعتقد أيضا أن وصول زيدان إلى الحكم هو تمثيل للدولة العثمانية بالمغرب السعدي، التي أيدته ولم تبخل عليه بالمساعدة. هذه المساعدة قد يكون فيها سيدي الشيخ شريكا بينهما بحكم نفوذه. إذ حاول المشاركة في الأحداث السياسية التي تتعلق بالنزاع حول السلطة بين أولاد أحمد المنصور إثر وفاته، من ذلك تقديمه لرجل ملثم بمناسبة صلاة عيد الفطر على أنه السلطان مولاي زيدان ومطالبة الناس بمبايعته ففعلوا، فقد يحصل أن يحاول الأمير زيدان الاستفادة من نفوذ سيدي الشيخ لتجنيد سكان المنطقة من المقيمين والرُّحل لاستعادة السلطة، خصوصا وأنه صاحب زاوية دينية وطريقة صوفية. والسعديون إنما قامت سلطتهم على أكتاف أصحاب الزوايا[1]. وقد سبق لزيدان أن أرسل سيدي الشيخ مستشيره في أمور العقد بالبيعة والوفاء بالعهد[2].

أما بالنسبة للقصور التي كانت واقعة بشرق فجيج كقصر الشلالة الظهرانية مثلا هي الأخرى كما أسلفنا كانت مستقلة عن الحكم التركي العثماني ظاهريا، كونه جعل بينه وبين أهالي هذه القصور واسطة تمثلت

(1) مزيان، المرجع السابق، ص ص 87 - 88

(2) أحمد بن أبي بكر السكوني الشريف الفحيحي، تقوية إيمان المحبين مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد ابن سليمان بن أبي سماحة، تحقيق ظواهرية عبد الله دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر وهران 1991، ص ص 64 - 75

في قبائل المخزن والتي أسندت لها مهام إدارية وعسكرية، ومن هذه القبائل التي تعاونت مع النظام التركي نجد قبائل أولاد سيدي الشيخ. وهذا ما يؤكده الرحالة المغربي العياشي بقوله: «إن أجزاء كبيرة من البلاد كانت مستقلة لا تخضع للوجود العثماني، بل هي تحت تصرف أمراء محليين... ولأولاد سيدي الشيخ نفوذ على مناطق شاسعة»[1]. ومما يجعلنا نطمئن أكثر إلى شهادة العياشي هو عدم وجود أي تحرك عثماني ضد أهالي المنطقة خلال فترة حياة سيدي الشيخ، عكس الفترة التي عاشها زعيم صوفي آخر في المنطقة بعده. وهو أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية، والذي رأى فيه الأتراك العثمانيين وفي طريقته خطر عليهم، فقاموا بمحاربته وغزو المنطقة في عهد الباي محمد الكبير. هذا الغزو لم يسلم منه قصر الشلالة الظهرانية موطن سيدي الشيخ قصد الاعتراف بالسلطة العثمانية ودفع الضرائب.

والمعروف تاريخيا أن الأتراك العثمانيين إنما قامت سلطتهم على أكتاف أصحاب الزوايا ورجال الطرق الصوفية مثلهم مثل السعديين بالمغرب، إذ قربوهم إليهم ومنحوهم الكثير من الامتيازات، بل أكثر من هذا ترددوا على زواياهم من أجل نيل البركة منهم. ومن هؤلاء نجد أحمد بن يوسف الملياني الذي مكث بقصر الشلالة الظهرانية موطن سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد ردحا من الزمن. والذي كان مكانه المفضل للاستقرار، ناشرا لتعاليم الطريقة الشاذلية. إذ لايزال ضريح ابنته عائشة إلى اليوم خارج القصر شاهد على إقامته بالمنطقة، ولايزال مثله

(1) مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981، ص 28

يردده الشلاليين إلى اليوم «الشلالة شلاَّلْتِي خَلَّيتْ فيهَا بنْتِي وعْبَايْتِي». هذا الولي الصالح الذي عاش متنقلا زمنا بين فجيج والشلالة الظهرانية عرف عنه تأييده للأتراك، وهو ما أشار إليه أبو القاسم سعد الله بقوله: «... وتذكر الروايات أيضا أن عروج قد زار الملياني، واتفق معه سرا على عدة أمور منها إعلان الملياني وأتباعه تأييدهم للعثمانيين. بينما تعهد عروج بعدم التعرض للملياني ونسله ومن تعلق به... فقد ظل الملياني وأتباعه مؤيدين للعثمانيين، كما حافظ هؤلاء على التزامهم له ولطريقته وأولاده وأتباعه»[1].

والمعروف أيضا على سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد أنه من أتباع أحمد بن يوسف الملياني ومن مريدي الطريقة الشاذلية، وبالتالي هو الآخر أيَّد الحكم التركي العثماني بالجزائر. ويظهر هذا جليًّا من خلال جهاده ضد الأسبان إلى جانب الأتراك العثمانيين[2]. كما أفادنا أيضا صاحب المناقب السكوني أنه كان من بين مريديه في الطريقة أتراك[3]، والذين كانوا يكنون له الوقار والاحترام، إذ أهدوا له أسيرة مسيحية تحمل اسما عربيا الياقوت والتي تزوج بها[4]، كما أن سيدي الشيخ كان له مقاديم يمثلونه ويمثلون طريقته في البلاد الجزائرية التي كانت خاضعة

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري 16 – 20م، ج1، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981، ص 470

(2) السكوني، المصدر السابق، ص 77

Cheikh Si Hamza BOUBAKEUR, un soufi Algérien Sidi Cheikh sa vie, son oeuvre, son rôle historique, ses descendants (Oulâd Sidi -cheikh), T.1, éditions Maisonneuve et la rose, Paris, 1990, P.24

(3) السكوني، المصدر السابق، ص160

(4) BOUBAKEUR. op.cit, P.29

بصفة مباشرة للبايليكات، منهم المقدم القندوس بن عبد الله بتلمسان، والمقدم قدور بن بوبكر من مدينة الجزائر، والمقدم هدوا بن بترع بمعسكر...[1]

ضف إلى هذا أن سيدي الشيخ كان يتنقل بكل حرية في المناطق التي عرفت حكم العثمانيين بها كتلمسان، مليانة، بجاية، الجزائر، وادي الشلف ومنداس... قصد نشر تعاليم الطريقة الشاذلية. كما زار قبائل بني شقران بمعسكر، وكانت له علاقات مع قادة غريس الذين امتدت معسكراتهم إلى جنوب الكرط[2].

ومن خلال ما سبق ذكره نلاحظ أن سيدي الشيخ عاش في موطنين، وهما الجزائر العثمانية والمغرب السعدي. فكيف كانت الحياة فيهما في جوانبها المختلفة؟ وكيث أثر وتأثر سيدي الشيخ بعصره؟

**1 – بالجزائر :**

**– أولا: الحياة السياسية :**

كما سبق وذكرنا عاش عبد القادر بن محمد المشهور بسيدي الشيخ كل حياته في ظل الحكم التركي بالجزائر، إذ عاصر مرحلة حكم البايلربايات كلها عاصر النصف الأول تقريبا من حكم الباشاوات، بحيث كانت ولادته سنة 940هـ – 1533م، ووفاقته سنة 1025هـ – 1616م، وهو ما يذكره معاصره السكوني[3]. لهذا سنكتفي بالتطرق إلى

(1) عبد القادر خليفي، الطريقة الشيخية، 2، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2010، ص 201

(2) Trumelet. C, L›Algérie légendaire, librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1982, PP. 144, 152

(3) السكوني، المصدر السابق، ص 193

أهم الأحداث والتطورات التي عرفتها الجزائر خلال هذين العصرين في مختلف مجالات الحياة سياسية، إدارية، اقتصادية، اجتماعية، وثقافية. والتطورات التي عرفها المغرب الاقصى خلال هذه المرحلة التي عرفت حكم السعديين الذين ربطتهم بشيوخ زوايا الواحة الفيجيجية روابط حسنة، والتي كان ينتمي إليها سيدي الشيخ كونه عاش واستقر مدة زمنية بفجيج المغربية. وكانت له علاقات طيبة مع السلطان أحمد المنصور الذهبي وابنه الأمير زيدان.

**1 – عهد البايلربايات 925هـ – 996هـ/ 1519م – 1587م:**

ابتدأ باستقرار الحكم التركي العثماني بفضل جهود الأخوين عروج وخير الدين بربروسة، وانتهى بتنحية علج علي من مقاليد السلطة[1]. تميزت سياسة الحكام الأتراك العثمانيين خلال هذا العهد بعدم التدخل في شؤون السكان الداخلية، والاكتفاء بالتعامل مع شيوخهم ومرابطيهم الذين كانوا يقدمون نيابة عن السكان ما كان يفرضه البايليك من مطالب مخزنيه وضرائب متنوعة مقابل تمتعهم بتأييد الحكام. وعرف الحكام الأتراك العثمانيين خلال فترتهم الأولى من الحكم كيف يكتسبون ود وتأييد رجال الدين وشيوخ الزوايا، الذين ساهموا بشكل كبير في استقرار الحكم التركي العثماني باعتباره دخل البلاد رافعا راية الجهاد ضد الغزو الاسباني، وكان لعبد القادر بن محمد سيدي الشيخ وزاويته حضور قوي في هذا الميدان وهو ما تؤكده المصادر التاريخية[2]. وتتمثل أهم إنجازات الحكام خلال هذا العهد فيما يلي:

(1) سعيدوني والبوعبدلي، المرجع السابق، ص 14

(2) السكوني، المصدر السابق، ص ص 77 – 82

– بناء القوة البحرية الجزائرية[1]، – تحرر جل سواحل الجزائر وترسيم حدودها الغربية[2]، – ضم كل من تونس وطرابلس بحكم الجزائر[3]، – التقسيم الاداري للجزائر.[4]

**2 – عهد الباشاوات 996هـ – 1070هـ/ 1587م – 1659م:**

ظهر هذا النمط الجديد في التولية مع نهاية نظام البايربايات في الجزائر[5]. وكان سبب ظهور عهد الباشاوات خوف الباب العالي من تفرُّد الحكام بالجزائر بالسلطة. وحدد مدة الوالي بثلاث سنوات. وقصُّر حكمه على إيالة الجزائر دون تونس وطرابلس كما كان الحال في عهد البايلربايات. مما كان له انعكاسات سلبية على البلاد من حالة اللإستقرار إلى محاولة الكثير من الباشاوات استتراف خيراتها والاستحواذ على جزء من عوائد الغزو البحري ولو على حساب الوجاق وجماعة الرياس[6] كما

(1) بن خروف، المرجع السابق، ص ص –24 25. سعيدوني والبوعبدلي، المرجع السابق، ص 44

Moulay Belhamissi, histoire de la marine algerienne (15861830-), enal, Alger, 1983, p.48.

(2) بن خروف، المرجع نفسه، ص 27

(3) جلال يحي، تاريخ المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ج3، دار النهضة العربية، بيروت 1981، ص ص 27 – 29

(4) أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط 2، م، و، ن، ت، الجزائر 1980، ص ص –47 48، يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، د، م، ج، الجزائر، ص 20

(5) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا –1492 1792م، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1968، ص 410

(6) سعيدوني والبوعبدلي، المرجع السابق، ص 15

أن الباشاوات ظلوا عاجزين عن تطوير نظام الحياة أو حتى تطوير الحكم الموجود في الإقليم[1]. وتميز عهد الباشاوات بجملة من الأحداث نوجزها فيما يلي:

– إجلاء الأندلسيين من شبه الجزيرة الأيبيرية سنة 1018هـ – 1609م بما فيها أولئك الذين ارتدوا عن الإسلام واعتنقوا المسيحية وقد اندمجوا بسهولة في المجتمع الجزائري وفي دواليب حياته الاقتصادية.[2]

– انتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات بسبب الجفاف والجراد[3].

– الخلاف بين الكراغلة والأتراك العثمانيين وتقلص نفوذ الإنكشارية ورياس البحر[4].

– زيادة نشاط القرصنة والتي اصطبغت سياستها بتحكمها في أوضاع البلاد وبطابع اقتصادي من خلال مغانم البحر. الذي وفر مصادر الرزق ووسائل العيش لأغلب سكان المدن الساحلية. مما أدى إلى ضعف الدوافع الروحية للجهاد البحري وخاصة في منتصف القرن الحادي عشر هجري / منتصف القرن السابع عشر ميلادي[5].

– عودة الاضطرابات واشتداد الثورات وانتشار الفوضى في البلاد.

---

(1) يحي المرجع السابق، ص 51

(2) Mouloud Gaid; l›Algérie sous la domination turque, maison Tunisienne de l›édition, Tunis, 1975, P120

(3) إلتر المرجع السابق، ص 147

(4) صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقييك إلى خروج الفرنسيين 814ق م / 1962م، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ص41

(5) سعيدوني والبوعبدلي، المرجع نفسه، ص 45

هذه الأحداث التي ميّزت عهد الباشاوات كانت عوامل مساعدة وممهدة لحكم الأغوات، قادة الجيش على الاستيلاء على الحكم تدريجيا.

**- ثانيا: الحياة الاقتصادية:**

ساهمت الكثير من العوامل في تأزم الحياة الاقتصادية بالجزائر في مطلع القرن 10هـ / 16م، نتيجة الأوضاع السياسية غير المستقرة المتمثلة في الغزو الخارجي الإسباني لسواحلها، وما ألحقه من دمار وخراب بالبلاد والعباد، والتفكك الداخلي الذي كانت تعرفه الجزائر. ضف إلى هذا دور القبائل البدوية السلبي في الاقتصاد، بسبب نزاعاتها فيما بينها، وغاراتها على الطرق والأسواق والقرى والمدن وعلى القوافل التجارية[1]. كما أن الجزائر عرفت الكثير من الكوارث الطبيعية خلال هذه الفترة[2]، هذه العوامل وغيرها أدت إلى انعدام الأمن والاستقرار، وانتشار الخوف وتزايد الأخطار وهي بدورها أدت إلى ظهور هجرات داخلية وخارجية بحثا عن الأمن والاطمئنان، وهو ما أشار إليه كثيرا الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا.

ورغم مجيء العثمانيين، ومساهمتهم في نشر الأمن والاستقرار[3]، إلا أنهم ظلوا عاجزين عن تنشيط ديناميكية الاقتصاد، إذ لا نجد أي

(1) عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بيت الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، ج 2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، من ص 13 إلى ص 25

(2) محمد العدبي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، ش، و، ن، ت، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، جانفي 1985، ص 109

(3) بن خروف، المرجع السابق، ص 35

محاولة منهم جادة لتطوير الأدوات التقليدية المتوارثة، التي استخدمت في الإنتاج الإقتصادي بمختلف ألوانه[1]. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ميولاتهم العسكرية أكثر من ميل آخر، أو بسبب إحساسهم الدائم أنهم غرباء عن هذا الوطن، لذلك نجدهم لم يقوموا بأي مشاريع صناعية مثل ما كان يحدث لنمو الإنتاج في مدن أوروبا. ولم يشجعوا على الإنتاج الزراعي ولا على المنتجات المحلية بصفة عامة، ولم ينفقوا رؤوس الأموال التي جمعوها من القرصنة في مستقبل البلاد، ورفع مستواها الاقتصادي. ولم تكن هنالك تجارة ثابتة ولا نظام نقدي ثابت. فلم يكن همهم تحقيق التقدم الاقتصادي بقدر ما كان يهمهم جمع الأموال في خزائنهم والمحافظة على مناصبهم ومراكزهم[2]، وبالرغم من ذلك فإنهم لم يقفوا أبدا في وجه المبادرات الخاصة، وقد نعتبر هذا نوعا من المساهمة غير المباشرة منهم لتطوير فعاليات الاقتصاد، فمثلا في الزراعة أقطعوا الأندلسيين المهاجرين أرضا في البليدة وغيرها، وأفسحوا المجال لخبراتهم الزراعية كي تعطي ثمارها[3].

ورغم الأثر السلبي للعوامل السالفة الذكر، إلا أن الحياة الاقتصادية انتعشت وتحسنت تدريجيا خلال القرن 10هـ والنصف الأول من القرن 11هـ / القرن16م والنصف الأول من القرن 17م، وخاصة بعد قدوم أعداد كبيرة من مهاجري الأندلس إلى أرض الجزائر واستقرارهم بالجهات الساحلية. يستصلحون أراضيها ويعمرون مدنها وقراها

(1) المرجع نفسه، ص 12

(2) علي عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، ط،1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص280

(3) بن خروف، المرجع السابق، ص 35

مستغلين مواردها الاقتصادية[1]، ولقد تميز النشاط الاقتصادي الجزائري خلال الفترة المذكورة، بعدة مميزات تمثلت في:

**1 – الزراعة:**

تمثل أكبر نشاط اقتصادي، ومع ذلك كانت بدائية وكانت وسائل الإنتاج بسيطة جدا منذ مئات السنين، تنوعت بها الملكية وكان الإنتاج الزراعي وفيرا ومتنوعا من خضر وفواكه[2].

**2 – الصناعة:**

لم تكن مزدهرة في الجزائر خلال العهد العثماني، وذلك لأنها كانت في معظمها عبارة عن مهن تقليدية وحرف يدوية، تميزت بالبساطة، وباعتمادها على الموارد الأولية المتوفرة في البلاد، وأنها كانت متوارثة. كما أن شدة الحاجة الضرورية هي التي دفعت إلى ممارستها، ورغم بساطتها إلا أنها عرفت بالتنوع والإتقان كما ظهرت عليها تجديدات بقدوم الأندلسيين المهاجرين إلى الجزائر، تمثلت في الصناعة الصوفية، النحاسية، والاستخراجية، بالإضافة إلى بناء السفن في السواحل[3].

**3 – التجارة:**

لم تكن وضعيتها بالجيدة في الجزائر خلال العهد التركي العثماني، سواء التجارة الداخلية التي عانت كثيرا من الصعوبات سالفة الذكر التي واجهتها، وقد اعتمدت على نظام المقايضة خاصة بين الشمال والجنوب

(1) سعيدوني والبوعبدلي، المرجع السابق، ص 49

(2) بن خروف، المرجع السابق، ص ص 9 – 12

(3) شالر، المصدر السابق، ص ص 30، 93 – 94. سعيدوني والبوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 70 – 71

وذلك لاختلاف المنتجات بينهما أما بالنسبة للتجارة الخارجية فإن الحكام الأتراك العثمانيين وقفوا لأجل تنشيطها كونها كانت تمثل موردا هاما للدولة وذلك من خلال ضبطها وتنظيمها ومراقبتها فتنوعت المبادلات التجارية من أصواف، جلود، شموغ، تبغ، ريش، النعام... كصادرات، وسكر، بن، توابل وحديد... كواردات وقد انعكس هذا على الخزينة الجزائرية التي لم تعرف خلال هذا العهد عجزا ماليا، وقد اعتمدت إيراداتها على جباية الضرائب المتنوعة والنشاط البحري، كما كان للجزائر عملة، ذهبية وفضية ونحاسية تضرب بدار السكة في القصبة باسم السلطان العثماني، وكانت تتداول في أسواقها العملة الأجنبية كالعملة الفرنسية والإسبانية.[1]

**ثالثا : الحياة الاجتماعية والثقافية.**

تأثر الوضع الاجتماعي للجزائر في بداية القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي، بجملة من العوامل ساهمت في تشكل نمط اجتماعي جديد وتمثلت فيما يلي:

**أ- الاحتلال الإسباني:**

كان له تأثير من خلال الحروب، إذ تبادل الجزائريون معهم التجارب والمهارات العسكرية[2].

كما كان لهم تأثير من خلال تحويل سكان المدن إلى سكان أرياف نتيجة الهجرة القسرية التي تعرضوا إليها[3].

---

(1) بن خروف، المرجع السابق، ص ص 15، 24، 36 - 37 الزبيري، ص ص 118، 126 - 127

(2) سعد الله، المرجع السابق، ص 114

(3) إلتر، المرجع السابق، ص 147

**ب – مجيء الأتراك العثمانيين:**

كان لهم تأثير في الحياة الاجتماعية للجزائر من خلال ربط مجتمعه بالمجتمع الشرقي. فقد جاءوا بوسائل حضارية شرقية إلى الجزائر من مآكل وملابس ومشارب وألقاب وصنائع وتقاليد. كما أنهم قد أدخلوا المذهب الحنفي إلى الجزائر، وجاءوا معهم بطرق صوفية لم تكن معروفة، أو أنها لم تكن منتشرة بين السكان[1]. وانضوى الكثير منهم تحت لواء بعض الطرق الصوفية المتواجدة بالجزائر على غرار الطريقة الشيخية لصاحبها عبد القادر بن محمد سيدي الشيخ، الذي ربطته بهم علاقات حسنة قامت على كثير من الود والاحترام ترجم بإهدائهم له أسيرة تزوج بها وأنجب منها ذرية أولاد سيدي الحاج أحمد[2].

**ج – هجرة الأندلسيين من مسلمين ويهود:**

بدأت هذه الهجرة خلال القرن 9هـ / 15م، وتقوّت خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، كانت نتيجة اضطهاد الاسبان لهم، ولانعرف عددهم بالضبط، إلا أنهم وفدوا بكثرة قد يكونون بمئات الآلاف، حطوا الرحال في مختلف المدن الساحلية كشرشال، تنس، مستغانم، الجزائر...، وحتى في بعض المدن الداخلية. وساهموا بوجودهم بالجزائر في تنوع المشهد البشري، وفي تنمية الحياة المدنية، وتطوير الحياة الاجتماعية فيها، إلى جانب مضاعفة الكفاح ضد الأسبان[3].

---

(1) سعد الله، المرجع السابق، ص ص 143 – 144

(2) BOUBAKEUR, Op. Cit, pp. 18 -24

(3) سعد الله، المرجع السابق، ص ص 142 – 143

هذه العوامل ساهمت في تشكيل سكان الجزائر خلال العهد العثماني من عدة وظائف وجماعات متمايزة فيما بينها، من حيث نمط معيشتها، وأسلوب حياتها، ومصادر رزقها، وطبيعة علاقاتها بالحكام، سكنت المدن والأرياف[1]. وضمن هذه الطبقات كانت هناك فئة العلماء التي حظيت بالتقدير والاحترام لدى الحكام الأتراك العثمانيين من جهة، ولدى الرعّية عامة من جهة ثانية. وكانت لها امتيازات ويمثلها خاصة شيوخ الطرق الصوفية وأئمة وفقهاء المساجد[2]. ونجد في هذا سيدي الشيخ نموذجا بارزا.

– أما بالنسبة للحياة الثقافية فقد تأثرت سلباً وإيجابًا بجملة من العوامل تمثلت في:

– ضعف الدولتين الحفصية والزيانية، اللتين كانتا تقتسمان الحكم في الجزائر، الأولى في نصفها الشرقي والثانية في نصف الغربي[3]. مما أثر على الحياة الثقافية بالجزائر بسبب انعدام الأمن، وانتشار الخوف وفي حالة اللإستقرار، ضف إلى هذا أن الأسبان لم يكتفوا بتدمير وتخريب المراكز الثقافية بل تعدوه إلى قتل وأسر علمائها وطلابها أو تهجيرهم بصورة قسرية[4].

– أن الحكام العثمانيين أنفسهم ساهموا في ركود الحياة الثقافية بالجزائر من خلال سياستهم التي لم تعتني بالتعليم ومؤسساته. وقد لا

(1) سعيدوني والبوعبدلي، المرجع السابق، ص 87

(2) إلتر، المرجع السابق، ص ص 107 – 108

(3) بن خروف، المرجع السابق، ج 1، ص ص 15 – 16

(4) بن خروف، المرجع السابق، ج 2، ص 100

نؤاخذهم في هذا، كونهم كانوا رجال حرب وسياسة على الخصوص[1]. هذا الانشغال جعل سياستهم غير مشجعة للثقافة ولا لأصحابها. ضف إلى هذا أنهم كانوا غير عارفين باللغة العربية وقواعدها[2]. وبالمقابل حتى لا نكون قاسيين على العثمانيين، فإنهم أطلقوا العنان لحرية التفكير والرأي ولم يضطهدوا أي عالم أو يسجنوه أو يقتلوه، بسبب أرائه الفكرية أو المذهبية. ولم يمنعوا أي نوع من الهجرة للطلبة أو العلماء بغرض طلب العلم أو تعليمه. فوجد تراث أدبي، وفني، وعلمي مقبول، وبرز علماء أجلاء في الجزائر[3]. كسيدي الشيخ عبد القادر بن محمد صاحب الياقوتة التي أبهرت حتى الأجانب إذ قال عنها الضابط الفرنسي تريمولي «أنها تحفة في المنطق والجمالية».

– أثر الهجرة الأندلسية ويظهر جليا من خلال الدور الإيجابي الذي لعبه المهاجرون الأندلسيون في بعث بعض المدن، وتعمير أخرى، وتنظيمها كشرشال، مستغانم، البليدة وغيرها، والتي أصبحت بفضلهم مراكز ثقافية هامة أو بؤرا مشعة للتبادل الفكري يقصدها العلماء والطلبة[4]. والتي كان فيها المسجد النواة الأولى لها.

ومن أهم الحواضر التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني والتي لعبت دورا كبيرا في تلقين العلم وتعاليم الدين للطلبة، نجد حاضرة الجزائر، حاضرة تلمسان، حاضرة قسنطينة.

---

(1) سعد الله، المرجع السابق، ص ص 315 – 316

(2) المرجع نفسه، ص 190

(3) المرجع نفسه، ص 191

(4) بن خروف، المرجع السابق، ص ص 103 – 104

إلى جانب هذه الحواضر الكبرى، كانت هناك مراكز أخرى عبر مختلف مناطق الجزائر كمازونة، بسكرة، تقرت، ميزاب، ووادي سوف وورقلة وعين ماضي[1]، وتوات التي اشتهرت بمعاهدها كمعهد سيدي الشيخ، معهد كرزاز وغيرها[2].

وقد ساهم أداء فريضة الحج والرحلة لطلب العلم في انتشار حركة التأليف والنسخ فلولاهما لما نشطت همم هؤلاء العلماء للتأليف وتزويد المكتبات بإبداعاتهم، وذلك من خلال احتكاكهم واتصالهم بعلماء البلدان سواء الذين مروا بأرض الجزائر كعلماء المغرب الأقصى، أو المتنقلين إليهم كعلماء تونس والمشرق الإسلامي، إذ تبادلوا فيما بينهم التأليف والإجازات.[3] أما عن الإنتاج الثقافي في حد ذاته فيمكن أن نميز نوعين هما:

– إنتاج ثقافي علمي ممثل في الشروح والحواشي الفقهية والعقائدية[4]. وإنتاج ثقافي أدبي ممثل في النثر والشعر في شتى أغراضه[5]. تميزا بجملة من الخصائص نوجزها في:

– أنه إنتاج بسيط، غلبت عليه العامية (الدَّارجة) مجاراة لطبيعة المجتمع مما نتج عنه شيوع الأدب الشعبي.

(1) سعد الله، المرجع السابق، ص 175

(2) سعيدوني والبوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 129 – 130

(3) سعد الله، المرجع السابق، ص ص 296 – 297

(4) المهدي البوعبدلي، أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي، مجلة الأصالة، ع 8، السنة الثانية، جمادى الأولى 1392هـ/ ماي – جوان 1972 م، ص ص 273 – 274

(5) سعد الله، المرجع السابق، ص 192

– أنه إنتاج وليد المناسبات، وبصفة خاصة الإنتاج الأدبي.

– أنه إنتاج اجترارى، أي غلب عليه الطابع التقليدي، لا نجد فيه الجدة والإبداع.

– أنه اعتمد على الرواية الشفوية والخبر دون التحقيق والنظر أدى إلى انتشار منهج السرد التاريخي.

**2 – بالمغرب الأقصى :**

أقام سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد بالمغرب الأقصى مدة تزامنت مع الحكم السعدي، عهد أحمد المنصور الذهبي ثم عهد ابنه الأمير زيدان، وربطته بهما علاقات حسنة من خلال ما أورده لنا السكوني في ذكره لمناقب سيدي الشيخ، إذ كانت فجيج مركزا لإقامته، كما كان يتنقل إلى فاس طالبا للعلم. وقد عرف المغرب الأقصى قمة مجده عهد السلطان أحمد الذهبي، هذا المجد لم يعرف أبناؤه وخلفاؤه كيف يحافظون عليه إذ كانت الفترة التي أتت بعده فترة فوضى وصراع وحروب، عرفت فيها لبلاد أحلك فتراتها من حالات اللإستقرار، وانعدام الأمن، وانتشار الرعب، والخوف، وظهور للفتن فقد كان الوضع العام مضطربا، ومتأزما شبيها بالبركان، وجد فيها الأوروبيون متنفسا وجوا ملائما لتحقيق أطماعهم القديمة الجديدة، شجعهم على الاستيلاء على موانئ المغرب هذا من جهة، ومن جهة ثانية نشطت من جديد الحركات الصوفية في شمال المغرب وجنوبه متحملة مسؤولية الجهاد التي تخلى عنها خلفاء أحمد المنصور لصد مخاطر الصليبيين، هذه الأحداث المتتابعة لم تدع

أبدا لبلاد المغرب الأقصى سبيلا إلى التقدم إلى الأمام. وساهما في احتضار، وموت دولة السعديين[1].

أما عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المغرب الأقصى كانت مماثلة لما كانت عليه الحياة في هذه المجالات في الجزائر. هذا التماثل نراه طبيعيا إذا ما عدنا إلى جذوره المتمثلة في تشابه العوامل المؤثرة في الحياة في كلا البلدين. فنفس الأسباب حتما ستعطي نفس النتائج، والتي جعلت من صورة مجتمع واقتصاد وثقافة البلدين صورة مطابقة لبعضهما البعض، اللهم إلا بعض الاختلافات الطفيفة والبسيطة بينهما[2].

**ب – بالعالم العربي والإسلامي:**

تزامن عصر سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد مع تعرض العالم العربي والإسلامي إلى حملات صليبية من طرف إسبانيا المدعمة من الإمارات الإيطالية، وفرنسا، ومالطا على سواحل البحر المتوسط لمنطقة المغرب الإسلامي[3]، والبرتغالي على سواحل الجنوب العربي إلى خليج هرمز بغرض تحقيق أهداف مختلفة[4]. وأمام عجز دول المغرب

(1) حسين مؤنس، تاريخ المغرب العربي وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، م 2، ج 3، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1412هـ – 1992م، ص 212

(2) لتفاصيل أكثر عد إلى كتاب العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب لعمار بن خروف

(3) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1416هـ/ 1996م، ص ص 16 – 17

(4) المرجع نفسه، ص 28

والمماليك على مواجهتهما، تولت الدولة العثمانية مهمة التصدي لهذه الأخطار رافعة راية الإسلام، إذ كانت تعيش فترة قوة وازدهار منذ أن تمكنت من فتح القسطنطينة سنة 857هـ / 1453م[1]، فكانت القوة العسكرية المؤهلة لحفظ كرامة الإسلام والمسلمين، واستطاعت أن تبسط سيطرتها على الغالبية العظمى من البلاد العربية.[2]

وكانت فلسفة الحكم التركي العثماني تقوم على أساس ترك الأمور في الولايات على ما هي عليه دون ما تدخل جوهري من جانب الحكومة في حياة الناس على أن يكون ذلك في إطار التبعية للسلطان العثماني، مما أدى إلى ظهور أسر حاكمة في مختلف الولايات الإسلامية في عهد الدولة العثمانية عملت على تدعيم نفسها بأن تخلق لها كيان واضح يعتمد على حدود جغرافية واضحة، وبهذا فبدلا من أن تتوحد جهود حكومات الدول الإسلامية لدفع الخطر الأجنبي تحالفت في وجه العثمانيين خوفا عن مصالحهم في الحكم[3]. ورغم هذا إلا أن الدولة العثمانية أصبحت أكثر دولة مركزية تقود الخلافة الإسلامية، شاركت في تشكيلها الكثير من الأجناس على اختلاف مواقعها وأنماط معيشتها.

**ج - بأوروبا:**

تزامن عصر سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد بالعالم الخارجي بظهور نهضة في أوروبا شملت ميادين مختلفة، والتي لم تبدأ فيها في

(1) المرجع نفسه، ص ص 21، 49 - 50

(2) إبراهيم بك حليم ابراهيم، تاريخ الدولة العثماني العليّة المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليّة، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1408هـ / 1996م، ص 10

(3) المرجع نفسه، ص ص 9 - 13

وقت واحد، لكن بداياتها كانت في جنوب القارة في شبه جزيرة إيطاليا، وكانت هذه البداية بمثابة الاعداد للانقلاب الذي عمّ أوروبا فيما بعد، هذا الانقلاب الذي لعب فيه اتصال الغرب المسيحي بالعالم الإسلامي دورا كبيرا والذي كان يمثل فيه منارة للعلم والحضارة في جميع ميادينها، ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تتخبط في ظلمات العصور الوسطى كان المسلمون في أوج مجدهم الحضاري، وكانت الحضارة الإسلامية تمثل قمة ما وصلت إليه الحضارات الإنسانية[1]، هذا الاتصال كان عن طريق السلم تارة والحروب تارة أخرى عبر ثلاثة منافذ رئيسية هي: الأندلس، صقلية والحروب الصليبية، فتأثرت أوروبا بعلوم العرب والمسلمين وفنونهم وصناعتهم ونظم دينهم وآدابهم وأخلاقهم تأثرا قويا جعل منها قارة متطورة، وما ساعدها أيضا في هذا هو نجاح تيار حركة الترجمة الواسعة من العربية إلى اللاتينية[2].

وبهذا يعد عصر النهضة الذي تزامن مع حياة سيدي الشيخ مرحلة الانتقال بأوروبا من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، وهو بداية عهد جديد في تاريخ القارة للنتائج التي تحققت به من تقدم وتطور جعلها تهيمن على العالم وتكتشف أسرار الكون والحياة حين أنقذت نفسها من جهل الذي قيّد فكرها والذي كان فيه للمسلمين دور كبير.

وكخاتمة فإن سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد ولد وعاش في عصر جديد محليًا وإقليميًا، ودولياً، للتغيرات الكبيرة التي ظهرت فيه

(1) علي علي سليمان، أثر الثقافة العربية في الثقافة الغربية، مجلة الثقافة والثورثة، ع 9، د، م، ج، الجزائر، 1938، ص 14

(2) المرجع نفسه، ص ص 13 – 15، 24 – 29

في مختلفة جوانب الحياة، فالجزائر عرفت نظام حكم جديد خلفًا لحكم الزيانيين متمثل في الحكم التركي العثماني وما صاحبه من تغييرات، أما المغرب الأقصى فهو الآخر عرف نفس التغيير بقدوم السعديين إلى الحكم بدل الوطَّاسيين، في حين عاش العالميين العربي والإسلامي في ظل الخلافة الإسلامية العثمانية بدل الخلافة العباسية المنهارة، أما القارة الأوروبية فإنها انتقلت من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، أي من عصور الظلام إلى عصور التنوير.

## قائمة المصادر والمراجع :

### المصادر العربية المطبوعة :


- الزهار أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط 2، م، و، ن، ت، الجزائر 1980
- السكوني أحمد بن أبي بكر الشريف الفحيحي، تقوية إيمان المحبين مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد ابن سليمان بن أبي سماحة، تحقيق ظواهرية عبد الله دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر وهران 1991
- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816 – 1824، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ش، و،و ن، ت، الجزائر، 1982


### المراجع العربية المطبوعة :


- إلتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ– 1989،
- الزبيري محمد العربي، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، ش، و، ن، ت، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، جانفي 1985
- المدني أحمد توفيق،حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792م، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1968
- بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981


بن خروف عمار:

1 – العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلاد، ج 1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1427هـ – 2006

2 – العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بيت الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، ج 2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008

– بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، د، م، ج، الجزائر

– حليم ابراهيم بك، تاريخ الدولة العثماني العليّة المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليّة، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1408هـ/ 1996م

– حليمي علي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، ط،1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.

– خليفي عبد القادر، الطريقة الشيخية، 2، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2010

– سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري 16 – 20م، ج1، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981

– سعيدوني ناصر الدين وبوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج 4، م، و، ك، الجزائر، 1984

– فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقييك إلى خروج الفرنسيين 814ق م / 1962م، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002.

– مؤنس حسين، تاريخ المغرب العربي وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، م 2، ج 3، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1412هـ – 1992م

– مزيان أحمد، فجيج «فكيك» مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر –1845 1903، مطبعة فجر السعادة، 1988

– ياغي اسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1416هـ/ 1996م.

– يحي جلال، تاريخ المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ج3، دار النهضة العربية، بيروت 1981.

## المراجع الأجنبية المطبوعة:

- Cheikh Si Hamza BOUBAKEUR, un soufi Algérien Sidi Cheikh sa vie, son oeuvre, son rôle historique, ses descendants (Oulâd Sidi -cheikh), T.1, éditions Maisonneuve et la rose, Paris, 1990
- Trumelet. C, L›Algérie légendaire, librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1982
- Moulay Belhamissi, histoire de la marine algerienne (15861830-), enal, Alger, 1983
- Gaid Mouloud; l›Algérie sous la domination turque, maison Tunisienne de l›édition, Tunis, 1975

## الدوريات باللغة العربية:

- البوعبدلي المهدي، أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي، مجلة الأصالة، ع8، السنة الثانية، جمادي الاولى 1392هـ/ ماي - جوان 1972م
- التميمي عبد الجليل، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م، المجلة التاريخية المغربية، ع 6، جويلية 1976م، تونس
- سليمان علي علي، أثر الثقافة العربية في الثقافة الغربية، مجلة الثقافة والثورة، ع 9، د، م، ج، الجزائر، 1983.

## - الدوريات باللغة الأجنبية:

- François COMINARDI, au coeur des monts des ksours, le KSAR de chellala dahrania, in tradition et modernité, révue d›architecture et d›urbanisme, n°2, Alger, 1995

# البعد الروحي لمقاومة الشيخ بوعمامة

الأستاذ: ادريس بن خويا
الجامعة الإفريقية- أدرار

لقد ظهر سيدي بوعمامة منذ سنة 1888م في منطقة جنوب الصحراء قطبا ربانيا، مستقطبا ولاء أغلب القبائل الصحراوية بلا منازع، فضلا عن تقدير أشراف تافيلالت له بجنوب المغرب الأقصى ولم يستطع أحد أن ينازعه هذا النفوذ، بل امتد الى قبائل الطوارق الذين عبروا له عن استعدادهم للالتحاق به في الوقت المناسب، وذلك من خلال مراسلتهم له أواخر سنة 1888م. وهكذا ما ان حلت سنة 1892م حتى أدركه كل من القصر العلوي بالمغرب والمفاوضية الفرنسية بطنجة، ما أصبح عليه سيدي بوعمامة من نفوذ روحي، وتأييد قبلي، وقوة حربية بالمنطقة الصحراوية ومحيطها، وبذلك سعى الطرفان الى اكتسابه، في حين تبدوا رغبة الشيخ بوعمامة بالحفاظ على حريته واستقلاله واضحة من خلال معاملته ومراسلاته السياسية مع الحكام العسكريين المباشرين ولا شك أن له يد في الوقائع التي دارت بين الفرنسيين والبرابر في نخيلة في 05 جويلية 1903م وفي الهجوم الواسع على مركز تاغيت بجبل بشار، وتنظيم حملات الساهلة والمطارفة، وأوجروت وشروين وتيميمون إلى آخر المعارك التي خاضها وحرض عليها.

وقد امتد الشيخ بوعمامة في ثورته من الواحة الجنوبية عبر واد الزوزفاتة وواد الناموس، عندما وصل إلى الناحية الشمالية فيغيغ أسس زاوية بواحة المغرار التحتاني، كما حاول إقامة حلف من قبائل العمور وبني كيل وغيرهما من قبائل الحدود إلى ناحية تلمسان نفسها: والهجوم على الفرنسيين الذين أرغموا على استرجاع عدد من فيالق من جيوشهم؛ حيث استعدوا من جديد بعدما تكبدوا خسائر فادحة للهجوم بأسلحتهم المتفوقة والضغط على الشيخ بوعمامة الى الجنوب حيث رجع سنة 1882 إلى دلدول وهي واحة في جرارة وسط توات حيث أسس زاوية هناك يدرس فيها القرآن الكريم والعلوم الشرعية، فاكتسب بها مزيدا من الأنصار والأتباع.

وظل الشيخ بوعمامة ثائرا إلى سنة 1908م حيث استقر بأنكاد أماسي حمزة وسي قدور بن حمزة وغيرهما من زعماء أولاد سيدي الشيخ الشرقية. وذكرت بعض المصادر أن فرنسا نجحت في إغرائهم بالوسائل الدبلوماسية حيث عقدت معهم اتفاقيات الصلح، ومنحتهم خلال سنة 1883-1884م امتيازات سلطوية وكان الجنرال (thomassin) هو الذي تولى أمر المفاوضات مع سي الدين وذوية، ونجح في جذبهم بوسائل اعتمد فيها بالأساس على التدخل مع سكان جورارة وبعض القبائل المحلية التي يظهر أنها مالت للفرنسيين بوسيلة أو بأخرى.

وبهذا أخذت وضعية التوات تنقلب، فقد بدأت فرنسا تؤسس لنفسها نفوذا سياسيا بين بعض القبائل التي أصابها الخوف نتيجة تزايد الضغط العسكري الفرنسي ضد واحات توات.

وهكذا استطاع الفرنسيون أن يعقدوا اتفاقيات مع عدد من القبائل التي تسكن بواحة جورارة، وكذلك مع بعض فصائل ذوي منيع، وبعض الطوائف من سكان عين صالح.

وفي الوقت الذي أعطى فيه مؤتمر برلين 1885م حرية التوسع الامبريالي في أفريقيا بالنسبة للدول الأوروبية التي حضرت هذا المؤتمر، بادرت فرنسا إلى تهيئة الشروط الضرورية لاكتساب توات، وفعلا شيدت في السنة التالية للمؤتمر 1886م حصنا في المنيع، ووضعت فيه حامية عسكرية تتركب من 156 جنديا بصفة دائمة، وهي الحامية التي سيقرر البرلمان الفرنسي في بداية العقد الأخير من القرن 19م رفع عددها إلى 600 جندي، وقد كانت حامية فرنسا قد حاولت الاستقرار بها منذ 1873م، ولكنها انسحبت منها للأسباب أمنية.

وفي التاريخ نفسه 1886م قامت بعثة دراسية فرنسية تحت إشراف الضابط) بالا) الذي تجول عبر توات كلها بمساعدة شخصين مسلمين من كبار قصور حاسي الشيخ بالحدود الوسطى، وقد خرج(بالا) من قصور الأبيض سيدي الشيخ، ونزل عبر حوض وادي كير، ثم وصل إلى واحات الخنافسة، ثم تجول في قصور جورارة، وزار مؤسسة الشيخ بوعمامة في دلدول، ومكث هناك في ضيافة بعض الأهالي مدة ثمانية أيام، ثم توجه إلى عين صالح مرورا بتادميت؛ حيث أغتيل هناك في شهر فبراير 1886م هو ومرافقاه الجزائريان، وقد كان اغتياله على يد أصحاب الشيخ عبد القادر بن باجودة الذي كان من أكبر زعماء عين صالح، الذي سبق له أن نصب كمينا للبعثة العسكرية الفرنسية سنة 1881م.

**الشيخ بوعمامة الروحي:**

الشيخ بوعمامة – رحمة الله عليه– هو أحد أحفاد الولي الصالح الشيخ عبد القادر بن محمد المعروف بسيدي الشيخ.

وهو من بني عمومة سي سليمان بن حمزة زعيم الانتفاضة المسماة في التاريخ ثورة أولاد سيدي الشيخ.

دخل بوعمامة التاريخ من بابه الواسع، وأشتهر حتى بلغت شهرته الأصقاع والأفاق، مشرقا ومغربا؛ لأنه أشرف على انتفاضة كادت أن تعم الغرب الجزائري بأكمله، بل لأنه أدرك بالبديهة الصائبة والرأي الراجح الدور الذي يجب أن تلعبه الزاوية الروحية.

الشيخ بوعمامة هو محمد بن العربي بن الحرمة بن ابراهيم بن التاج عبد القادر بن محمد سيدي الشيخ القطب بن سليمان بن سعيد بن أبي ليلة بن عيسى بن أبي يحي بن معمر الملقب أبو العالية بن سليمان بن سعيد بن عقيل بن حفص الملقب حرمة الله بن عساكر بن زيد بن حميد بن عيسى بن عبد الرحمان بن سيدنا أبو بكر الصديق- رضي الله عنه -

فهو من مواليد امغرار في حدود 1845م، حيث نشأ وترعرع في هذه المنطقة التي عرفت بالتوتر والغليان في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وانعدام ما يسمى بالدولة إضافة إلى طغيان قطاع الطرق، خاصة وأن المنطقة حدودية، وهناك ما يسمى مخزن السلطان لا يتساهلون مع هذه القبائل، فهم يمارسون معهم سياسة العصا الغليظة، وهي تشكل خطرا جاثما يهدد الأمن ويجعل المنطقة كلها على فوهة بركان سرعان ما يندلع في أي مكان وفي أي اتجاه.

وكان احتراف الرعي لا محيد عنه للشباب، قبل أن يشتد عودهم، فيمتهنون التجارة، وعن طريق القوافل يكونون همزة وصل بين الصحراء والتل الوهراني، إلى أن والده السي العربي بن الحرمة قرر أن يجعل ابنه ملازما للشيخ محمد بن عبد الرحمان أحد مقدمي الطريقة الشيخية، الذي تعلم على يديه بعض آيات القرآن الكريم والحديث الشريف وبعد ذلك بالنسبة للأهل الطريقة الأوراد، والأذكار ثم المبادئ العامة للتصوف والزهد في الحياة.

وتعلم الطريقة بما يؤهله لأن يكون شيخا مقدما، ومن هنا بات واضحا أن زاوية امغرار قد حسم الأمر في شيخها ومقدمها في البداية لما عرف عن هذا الشاب من ورع وحكمة وسداد الرأي ونفاذ البصيرة، وحسن تدبير تألقا بجدية القطبين الصالحين سيدي الشيخ وسيدي سليمان بن أبي سماحة.

فها هو يكرس جانبا مهما من حياته في طلب العلم والبحث في الأمور الفقهية المختلفة إلا أن العصر بأكمله لم يكن ليزخر بحواضر متميزة للعلم والعلماء في هذه المنطقة من الجزائر بالضبط، فهي بؤرة توترات وحروب سواء تعلق الأمر بالغزو الفرنسي أو مخزن السلطان المغربي، المهم أن الشاب يكون قد ارتحل إلى المغرب ليتابع حلقات الدرس القرويين.

ويمكن أن نؤكد أن الرجل عصامي، نهل من المصادر المهمة التي وقعت بين يديه، فأخذ ما كان يجب أن يأخذ، فتثقف وتفقه واطلع على كثير من المعارف التي كان يرغب في الاطلاع عليها ككتب التصوف- على سبيل المثال.

فها هي وفود القبائل تعترف أمام مقدم الطريقة بمشيخته سيدا جديدا للزاوية، وشيخا روحيا لهذه الطريقة الصوفية البديعة المرتبطة به شخصيا، التي أطلق عليها اسما. وفيما بعد صارت الوفود ترتاح إليه هي الطريقة (الإيمانية)، ومن هنا تدخل اعتبارات عديدة في اختيار الشيخ الزاهد، أهمها: شرف نسبه وسمعته الحسنة، ونبل خلقه وسيرته الورعة، ولطف تعامله مع الجميع. فعلى الرغم ثقافته المتواضعة ودرجات التفقه غير المعمق مقارنة بمشائخ الطرق العريقة إلى أنه صاحب خبر ومجالس ومعارف شفوية مهمة، مما جعل أهل الطريقة يزكونه لمشيخة الطريقة

الصوفية، ويختارونه دون سواه، ومن هذه البداية برز تفوقه وذكاءه الخارقان، وذلك بعد أن اختار اسما للطريقة الشيخية متوخيا تغيير اسمها، تفاديا للصراع الذي قد ينشب مع بني عمومته، ولذلك كانت الطريقة الإيمانية مجرد اسم للشيخية حتى وإن بدل فيها بعض ما يمكن أن يبدل من أشياء طفيفة لا تمس جوهر الطريقة.

ولقد ركز الشيخ بوعمامة في بدايته على ربط الصلة الروحية بالقبائل، فجعل الأفئدة تتعلق بمنهجيته في الطريقة الإيمانية والتي رسمها بطابعه الورع وحياته الجهادية، ولعل العنصر الرئيسي في بصمات الشيخ هي المرتكز الجهادي الثائر على الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها المنطقة، وأصبح من المؤكد لديه أن الوازع الديني وحده الكفيل بتغيير ما يسود من مآس، وما كاد يرتبط بالزاوية ومشيختها ويعلن عن أذكار وأوراد الطريقة الإيمانية حتى ارتبط بالسيدة ربيعة ابنة عمه، والتي أنجبت له نجله السي الطيب في عام 1870م، الذي أصبح رفيق حياته ومعاركه كلها.

لم تكن سلطات الاحتلال الفرنسي على جهل تام بما تحضره مشيخة الزاوية وزعيمها الروحي، الذي وصفته التقارير المختلفة بأنه مجرد رجل مهوس، بينما ذكرته تقارير أخرى بأنه رجل دين، صاحب طريق مرابط، يجمع أموال الزكاة لينفقها على أصحابه المجاذيب من مريدي الطريقة، والبعض وصفه بأنه مجرد مجنون مدروش.

وواصل الشيخ بوعمامة تحضيراته المادية والبشرية في سرية تامة، فاجتمع إليه شيوخ القبائل المجاورة للمنطقة، وشرع في مراسلة العديد من الذين اعتقد فيهم المؤازرة والمساندة، وقد أعطت قبيلة الشعانبة خير مثال على ذلك، كما أنه بعث وفودا إلى أولاد سيدي الشيخ الغرابة ثم أولاد سيدي الشيخ الشراقة.

وهذه أسماء بعض الرسل:

-مرزوق السروري: إلى قبائل الطرافي

-طيب بن جرماني: إلى قبائل الشراقة.

- بالقاسم ولد لزفران: إلى قبائل ازياد.

-العربي ولد الطيب أحمد: إلى قبائل الرزاينة.

لقد بعث الشيخ بوعمامة عدة رسائل إلى أعيان القبائل وتلا عليهم رسالة الجهاد مع توضيح الأسباب، وهذه الرسالة التي تلاها عليهم:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله: جماعتنا المحروسة بعين الرضا قبيلة بعد قبيلة من غير تخصيص، نعلمكم أعلمكم الله خيرا على أمر الجهاد في سبيل الله بعدما فرق الكفار الفرنساويون بين الإخوة، وفسقوا في أرضنا، واستحلوا حرماتنا، أرادكم الله وأعانكم، وللخير والجهاد وفقكم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فتوكل الشيخ على المولى عزة وجل، وخاض المعارك الطاحنة رفقة أتباعه ومريديه، والسبب المباشر في إعلان الجهاد من طرفه هو هذا الوازع العقائدي، بل أن الجحافل المنضوية تحت راية جهاده والتي تعد بالآلاف ما كان لها أن تكون لولا شدة اقتناعها بأنها تحارب قوات الكفر، وتحمل شعار الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الحق، وعلى وجه أخص أن الجميع متأكد بأن الزعيم الروحي ليس له من هدف يصيبه إلا الإيمان الراسخ، ثم أنه أثبت للملأ أنه لا يسعى إلى تكوين زعامة سياسية، وإنما كان تركيزه على أن يفهمه الجميع أنه قائد روحي ثائر على الظلم والاضطهاد على شاكلة سليمان بن حمزة وبقية أبناء عموميته،

يتزعم المجاهدين أوفياء كما كان يصفهم، يدافعون عن شرفهم ولا يسكتون أمام جبروت الظالم المستبد.

انه بذلك هو ورفاقه يعلنون كلمة الحق تمازجها لحظات النصر، وفي الوقت ذاته يقيمون حلقات الذكر لقراءة القرآن الكريم حيثما حل بهم الظلام، وفي زاويتهم المتنقلة يستعيدون أورادهم وأدعيتهم الصوفية العميقة، مهللين ومكبرين ومسبحين على طريقتهم الإيمانية.

فعلى الرغم من عدم تمكنه من الثقافة العميقة إلا أنه استطاع مجاراة أحداث زمانه نتيجة دهائه السياسي وخبرته بالمنطقة ومجالسته لكبار العارفين من هذه القبائل المختلفة التي جمعته بها كلمة الجهاد، ثم إنه متمكن من الثقافة الشفوية التي عرف بها كبار القادة وعظماء الرجال.

راسل شيوخ القبائل وقادة الاحتلال الفرنسي برسائل تاريخية وعرض المشورة على ثلة من المقربين منه.

استقبل مبعوثي القادة العسكريين وأجابهم مشافهة وتارة عبر رسائل، وفي كل الحالات كان يلح على ترديد كلمته التاريخية الشهيرة:( يجب أن تخرجوا من أرضنا) رافضا الصلح بكل صوره، وكان يراه خيانة.

ومرت زاويته بعدة مراحل في حياته، ولكنها بدت إلى التطور شيئا فشيئا، فبعد أن، أسسها في أمغرار وجدد الحصون حولها وبني جوانبها، خاض عدة معارك أهمها معركة تازينا19-05-1881م والتي انتصر فيها المجاهدون انتصارا عظيما، وفتحت الطريق أمام الشيخ بوعمامة لينشر ثورته في مناطق عين الصفراء البيض، أفلو، فرندة، تيارت، سعيدة، بشار، وبعد هذه الثورات اضطرت السلطات الفرنسية أن تعجل باستعادة جزء من قواتها العسكرية التي اشتركت في احتلال تونس.

وإرسال العقيد القائد (نقريي) من البيض إلى الأبيض سيدي الشيخ، الذي فكر في أن القضاء على ثورة أولاد سيدي الشيخ يستلزم تحطيم ضريح سيدي الشيخ، والزاوية بالأبيض.

وانتقلت الزاوية والطريقة الإيمانية إلى الخيم حيث الشيخ بوعمامة متنقل عبر التلال والفيافي، ثم أعاد بنائها في دلدول قرب تيميمون بأقصى الجنوب وتجمعت حوله القبائل وأعيان القصور والواحات.

لقد قام الشيخ بوعمامة بعدة معارك في ناحية جرارة وأماكنها معلومة إلى يومنا هذا، ومنها: معركة حاسي الشيخك يقع بين المنيعة ولحمر.

معركة حاسي علي: هناك مقبرة الشهداء بزاوية الدباغ إلى حد الآن.

ومن دلدول حيث فقد ابنه: المسمى السهلي بوعمامة انتقل إلى العرق، وأقام زاويته في مكان يسمى: أعريس سيدي بوعمامة.

ومن العرق انتقل إلى بني ونيف، حيث بنى قبة جده الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة البكري ألصديقي وبني المسجد ومرافق الزاوية سنة 1891و الموافق ل 1311هـ، ولما أنجز البناء أقام صدقة عظيمة ودعي إليها أهل بني ونيف والقصور القريبة منها، وفي ذلك يقول الأستاذ طواهرية عبد الله:

بنى ضريحه المجاهد العتيـــد  أبوعمامة لجـــــــده السعيد
مشيدا ضريحـــه والمسجدا  حـتـى بـدا فـي حـلـة مـجـددا
فـي ألـف هـجـرة ثلاثمائة  وواحـــد مـــلازم لـعـشـرة

ومن بني ونيف ذهب الشيخ رحمه الله إلى واد قير.

وفي السنة 1886م قدم الشيخ بوعمامة ورقة طلب الأمان من فرنسا حينما أشتد عليه الخناق من مختلف الجبهات، إلا أن الفرنسيين رفضوا

طلبه، ولم تبرر التقارير العسكرية سبب الرفض، والذي يكون مرده إلى عملية استدراج استراتيجي عسكري كانت تخفيه لتستعمله محالة قصف المواقع التي يستعملها الشيخ، ولذلك بدأت تموه في اعتقادنا، وهو الأمر الذي تفطن إليه الشيخ بوعمامة بدليل أنه بعث رسالة ثانية يطلب فيها الأمان وجاءه الرد بتاريخ08 ديسمبر 1899م في رسالة تقول فيها السلطات العسكرية للعين الصفراء بأننا نقبل طلبك الأمان.

إلا أن الشيخ بوعمامة استغل هذه الموافقة المبدئية سياسيا وكأنه يقول لهم: ها أنتم تعترفون بالانتفاضة المباركة التي أنهكتكم ودوختكم، وهنا يكمن نجاح الشيخ السياسي.

إن الانتصارات العديدة التي أحرزها على العدو خلال سنوات الجهاد صنعت منه رمزا بطوليا جعل السلطات توافق مكرهة على طلبه، إلا أن الشيخ رفض قبولهم لطلبه الأمان ورمى به جانبا وتوغل في أعماق الصحراء وبالضبط إلى دلدول، ليجدد قواه في الصمت الصوفي المطبق هناك، وكان يشرف على عمليات سريعة تداهم العدو في حصونه من حين إلى آخر.

**نتائج مقاوة الشيخ بوعمامة :**

**تمثلت هذه النتائج فيما يلي:**

1-كانت ثورة الشيخ بوعمامة تحديا كبيرا لسياسة الجمهورية الثالثة، والتي كانت ترمي إلى إتمام عمليات الاحتلال الشامل للجزائر، واستطاعت أن تعطل وتعرقل المشاريع الفرنسية في الحنوب الغربي.

2-تمثل ثورة الشيخ بوعمامة المرحلة النهائية من إستراتيجية الزعامات الوطنية في مواجهة الاستعمار الفرنسي عن طريق المقاومات

الشعبية التي تعتمد على العامل الديني في تعبئة الجزائريين لمقاومة الاحتلال.

3- تعتبر ثورة الشيخ بوعمامة من أعنف المقاومات الشعبية خلال القرن التاسع عشر بعد مقاومة الأمير عبد القادر.

4- كشفت ثورة بوعمامة ضعف الفرنسيين في مواجهة المقاومة ما جعلها تبحث عن الحلول السياسية لإخماد نار الثورة خصوصا مع المرحلة الثانية 1883-1892 حين ظهرت قضية الأمان الذي كانت تبحث عنها السلطات الفرنسية من بوعمامة الذي رفضها من خلال المراسلات والمفاوضات التي كانت تسعى إليها فرنسا.

5-الخسائر البشرية والمادية هي الأخرى كانت من أبرز النتائج التي تمخضت عن الثورة.

6-عجلت الثورة بإتمام مشاريع السكك الحديدية في المنطقة وربط الشمال بالجنوب.

7-إن مقاومة الشيخ بوعمامة حتى وإن لم تحقق أهدافها في طرد الاستعمار من المنطقة بسبب العقبات التي إعترضتها منها على وجه التحديد عدم التمكن من توحيد فرعي أولاد سيدي الشيخ وكذلك ضغوط السلطان المغربي عبد العزيز على الثورة وحصرها في الحدود، إلا أنها أثبتت قدرتها على المقاومة وطول النفس وعرقلة التوسع في المنطقة.

## حوصلة:

أشرف الشيخ بوعمامة على الطريقة الشيخية، فهذبها ورتب ما يترتب فيها وجعل منبعه فيما أبدعه منها وسماها:(الطريقة الإيمانية) لكي لا

يحس أبناء عمومته بأنه مغتصب لحقهم في إرث جدهم الأول، ثم إن ما أراده من الطريقة قد تحقق بإتقان ومهارة وعبقرية، لأن المنهج السلفي في الذكر جعله معاصرا وصنع من المدريدين والدراويش جيشا عرمرم يقف غضة في حلق الجيوش النظامية فيهزمها ويرسم انتصارات باهرة.

قاد انتفاضته ولم تتوقف إلا بوفاته في يوم 08 أتوبر 1908م عمل كل ما في وسعه لتوحيد القبائل، جعل من أولاد سيدي الشيخ والجادادبة، وحميان، والعمور، و الشعانبة، قوة عظيمة يحسب لها ألف حساب بعد أن كانوا في غالبيتهم متطاحنين على مناطق الكلأ والآبار، بل أنه أدخلهم التاريخ من الباب الواسع، قال عنه أحد القادة الفرنسيين (إن انتفاضة بوعمامة هي قضية شعب بأكمله). وقال عن نفسه :«بأنني خلقت من أجل رفاهية أبناء هذا البلد الأوفياء لأوامر القرآن». وكان يقول:«إن جيشي الحقيقي هو الإيمان.»

وكان يرى في قبول الاستسلام مع فرنسا بأنها:«قبول السيادة الفرنسية معناه خيانة الله». كما قام في تسيير مراحل انتفاضته والتي عمت أرجاء الغرب الجزائري، وشملت التل والصحراء على السواء، لقد ملأ التل والصحراء على السواء، لقد ملأ الدنيا وشغل الناس، وفتق عقولا أخمدتها جلابيب تحجر الدروشة العميقة، وجعل الزاوية متفتحة على فهم ما حولها بل انتقل بها إلى مرحلة العطاء والتضحية.

إن الشيخ بوعمامة جعل العدو بقواته الرهيبة يجعل ألف حساب للمقاومات، مهما كان شكلها ومهما كانت قوت النفوذها وأنصارها.

إن انتفاضة الشيخ بوعمامة انطلقت من صلب الطريقة الصوفية، ثائرة على الأوضاع المزرية التي كان يعيشها المواطن الجزائري متفهمة

لحقائق العصر ونابضة بدفق هواجس المستقبل، بذلك تكون مكملة للحلقة التي فتحها الأمير عبد القادر، وعمقها أولاد سيدي الشيخ والثوار التواتيين في انغز والدغماشة، ومنطقة جرارة لتجدها أجيال أول نوفمبر 1954م مرتكزا تستند عليه لمواصلة المسيرة.

**قصيدة في رثاء الشيخ بوعمامة :**

عزوني ياناس في شيخ العربان عزي وعنايتي ومفتاح أورادي
تبكي عيني لبوعمامة طول الزمان تبكي عيني على مدى نطس ميعادي
تبكي عيني عليه ماطال الزمان طول الحياة والدموع على خدي
تبكي عيني عليه مفتاح البيان ركن الرحمة الله عليه الخير يهدي

**المصادر:**

- لفت الأنظار إلى مواقع من النهب والتخريب والدمار بولايه أدرار إبان احتلال، الجزائر، ANEP .2006 الاستعمار، الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، منشورات
- أبطال ومعارك المقاومة الشعبية، موقع شريطي محمد،
- مقاومة الشيخ بوعمامة 1881-1908.

# البعد الثوري للطريقة الشيخية
# ودوره في مقاومة الإحتلال الفرنسي

الدكتور مقلاتي عبد الله ( جامعة أدرار )
والدكتور صالح لميش ( جامعة المسيلة )

## تمهيد

يجمع أغلب المؤرخين الوطنيين أن تاريخ أولاد سيدي الشيخ تعرض للطمس والتزييف خلال المرحلة الإستعمارية، حيث شبه قادة الطريقة الشيخية برجال الإقطاع استأثروا بالسلطة والجاه في كامل منطقة الجنوب الوهراني، وكانوا في الحقيقة رجال دين وعمل دانت لهم القبائل لأنهم أهل بركة وتصوف، ووصف موقفهم من المقاومة والإستعمار بالسلبية على الرغم من أنهم كانوا نموذجا للوطنية والبطولة والصمود وهم يقارعون الإستعمار وأذنابه لأكثر من نصف قرن، وتجدد عطائهم بسخاء خلال ثورة التحرير الكبرى، فكانوا قادة لفرق المجاهدين الأوائل ومسؤولين في الولاية الخامسة التاريخية، سواء داخل الوطن أو في القواعد الخلفية بالمغرب الشقيق، وسجل حضورهم في عمق الصحراء حيث قادوا عام 1957 إنتفاضة المهاري بتيميمون.. الخ، وان إعادة كتابة تاريخ أولاد سيدي الشيخ سوف يفصح عن حقيقة الدور الثوري الذي قامت به هذه الأسرة والطريقة عبر مراحل مختلفة من تاريخنا الوطني، وفي مداخلتنا هذه نحاول أن ندرس تاريخ مقاومة أولاد سيدي الشيخ،

مركزين على أهمية البعد الثوري للطريقة الشيخية في بلورة المواقف والتحفيز على الجهاد والمقاومة.

## أولا : أسرة سيدي الشيخ والتوجه الثوري والإستقلالي للطريقة الشيخية.

إن أسرة أولاد سيدي الشيخ بفرعيها الشرقي والغربي هي أسرة واحدة، سكنت بمنطقة الجنوب الوهراني منذ القرن السادس عشر الميلادي، حيث انتقل الشيخ معمر بن سليمان، ثم بنى سيدي الشيخ ( عبد القادر بن محمد ) زاويته المشهورة، والتي ذاع صيتها في كامل واحات تانكريت فأصبحت تعرف بالأبيض سيدي الشيخ، وتنتسب هذه الأسرة إلى الخليفة أبو بكر الصديق، حيث تذكر بعض المصادر أن سي معمر هو أخ لسي محرز ولي تونس المشهور، وتؤكد مصادر أخرى أن سي معمر ينتسب إلى فرع آخر ينحدر عن عبد الرحمن بن أبي بكر أقام إبان القرن الحادي عشر الميلادي بتونس [1]، وكانت لهذه الأسرة الرئاسة على كامل المنطقة الممتدة من فقيق إلى ورقلة ومن الأطلس الصحراوي إلى منطقة قورارة، وقد شاركت الأسرة في الجهاد ضد الأسبان وضد الفرنسيين.

## ثانيا : دور أولاد سيدي الشيخ في مقاومة الإستعمار الفرنسي

لقد قامت أسرة أولاد سيدي الشيخ بفرعيها الشراقة والغرابة بثورات عديدة طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولم تتمكن السلطات الفرنسية من السيطرة على مناطق نفوذ الأسرة إلى بشق الأنفس، وقد

(1) أنظر خليفة بن عمارة : سيرة البوبكرية (1)، تر، محمد قندوسي، مكتبة جودي مسعود، الجزائر، 2002، ص 4

نهض فرع أولاد سيدي الشيخ الشراقة بثورة 1864 – 1879 وأعلن بوعمامة الذي ينتمي لفرع الغرابة ثورة 1881 المشهورة. وهذا الصمود الطويل في المقاومة والتضحيات الجسام تؤكد أن أولاد سيدي الشيخ لم يكونوا محايدين، ولم يستسلموا مبكرا كما تذهب الكتابات الفرنسية بل إنهم رفعوا التحدي وجاهدوا في سبيل الله ومدوا في عمر المقاومات الشعبية الجزائرية إلى مطلع القرن العشرين، وفي هذا تأكيد على صمود أولاد سيدي الشيخ في المقاومة وعلى البعد الثوري الذي انتهجه شيوخ الطريقة الشيخية.

لقد أجتهد الفرنسيون في إخضاع أولاد سيدي الشيخ، وقد قسمت معاهدة لالا مغنية عام 1845 بين فرنسا والمغرب الأسرة إلى فرعين، الشراقة وجنسيتهم جزائرية والغرابة وجنسيتهم مغربية، وكانت العلاقة بين الفرعين تتأرجح بين التعاون والتضامن أحيانا وبين التنافس والعداوة أحيانا أخرى، وقد سعى كلا الطرفين إلى الإتصال بالفرنسيين بحثا عن الزعامة، واختارت الإدارة الفرنسية أن تعين حمزة ولد بوبكر خليفة على الجنوب الوهراني عام 1854.

وقد اضطر قادة أولاد سيدي الشيخ الشراقة إلى وضع أنفسهم تحت تصرف الإدارة الفرنسية التي هيمنت على المنطقة، ودفعوا بسي حمزة للقبول بمنصب الخليفة، وكانت الإدارة الفرنسية قد أرتابت من تصرفاته أثناء ثورة شريف ورقلة، ولكنها جددت ثقتها فيه وعينته خليفة على أولاد سيدي الشيخ، وإظهارا لولائه قاد مع الجنرال بيليسي الحملة على ورقلة، ولاحق محمد بن عبد الله وأنصاره خارج ورقلة، وكافئه الفرنسيون بتعيينه خليفة على كامل المنطقة الممتدة من الساورة إلى ورقلة، وقد ظل في منصبه إلى غاية عام 1861 حيث أعلن عن وفاته،

وقيل أنه سمم بغرض التخلص منه، وعينت الإدارة الفرنسية أبنه بوبكر في مكانه ولكن برتبة باش أغا وهي أقل من لقب الخليفة، وقد ساهم بوبكر في إعتقال شريف ورقلة، ولم يدم طويلا في منصبه إذ توفي عام 1862، وعينت الإدارة الفرنسية في منصبه أخاه سليمان، وعينت إلى جانبه عمه سي لعلى أغا على ورقلة، وكان لهذا الأخير دورا حافل في ثورة سي سليمان حيث كان المهندس الحقيقي للثورة.

**1 – في أسباب ثورة أولاد سيدي الشيخ الأولى :**

يذكر المؤرخون أسبابًا عديدة لثورة 1864، منها : سوء سياسة المكاتب العربية اتجاه السكان، وإرهاق كاهل السكان بالضرائب ومصادرة أملاكهم العقارية والحيوانية، وقيام السلطات الفرنسية بإنزال مركز عائلة أولاد سيدي الشيخ، خاصة عندما خلعت عن ولدي سي حمزة ( سي بوبكر وسي سليمان) لقب الخليفة ونزعت عدة مناطق عن إدارتهما. وإغضاب الإدارة الفرنسية لسي سليمان في حادثة القرارة، حيث وقفت إلى جانب خصومه. وأما السبب المباشر لإندلاع الثورة فهو إحساس الباش أغا بالإهانة نتيجة إعتقال كاتبه الخاص سي الفوضيل بن علي خوجة في حادثة وقعت بالبيض يوم 29 جانفي 1864 [1]. ويغيب عن الباحثين من هذه الأسباب الباعث الديني والثوري الذي كان محفزا

(1) أجتمع السي الفوضيل وعدد من أفراد أولاد سيدي الشيخ في ساحة مدينة البيض للعب «لعبة الهدف» مع أفراد الصبايحية التابعين للمكتب العربي بالبيض، وخلال اللعب حدثت مشادات كلامية بين سي الفوضيل واحد الصبايحية أدت بتدخل الصبايحية لضرب سي الفوضيل في الساحة واقتادوه إلى مقر المكتب العربي، وانحاز الضابط الفرنسي إلى جانب الصبايحية، وعندما علم الباشاغا سي سليمان بالحادث أسرع إلى مقر المكتب العربي واحتج لدى الضابط الفرنسي واطلق سراح كاتبه، واعتبر الحادث اهانة شخصية له ولعائلته واستغله لإعلان الثورة، انظر، يحي بوعزيز : المرجع السابق، – ص، 171 – 173.

رئيسيا لهذه الثورة، حيث لم يسلم أولاد سيدي الشيخ في يوم من الأيام بالتواجد الفرنسي، وظلوا يتحينون الفرصة لإعلان الثورة، وذلك التزاما بشعائر طريقتهم الدينية الداعية للجهاد في سبيل الله ومن أجل تخليص وطنهم من الكفار وحماية الأرض والعرض، وهذا الدافع متضمن في خطبة الجهاد التي أرسلها سي سليمان لكافة القبائل، إذ ورد فيها مايلي : «أما بعد هذا مني إليكم باتفاق جماعتنا بشرى بإعلان الجهاد في سبيل الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضد الكفار الفاسقين الفرنساويين لعنهم الله الذين صالوا علينا وطغوا وشرعوا في إهانة ديننا الحنيف لا أراد الله، بعدما فسقوا في أرضنا وأحلوا ما حرم الله فيها نحن رفعنا الراية المحمدية وبشرنا كل مسلم بالجهاد راجين من المولى سبحانه وتعالى أن ينصرنا على الكفار المخزيين. ...الخ [1].

## 2 – المحطات الجهادية لثورة أولاد سيدي الشيخ الأولى :

بعد حادثة الإعتداء على كاتبه الخاص تخلى سي سليمان عن وظيفته بصورة غير رسمية، وغادر مقر إقامته بالبيض واتجه إلى الجنوب مصحوبا بأفراد عائلته وشيوخ القبائل ونزل بقرية الحاج الدين قرب بريزينة، وتداول هناك الأمر وتقرر إعلان الثورة المسلحة ضد الفرنسيين، فعين سي سليمان مجلسا عسكريا من عشرة أشخاص أبرزهم كاتبه سي الفوضيل وعمه سي الأعلى، واستعد للجهاد.

وتأكيدا على دور الطريقة الشيخية في تجميع كلمة أولاد سيدي الشيخ على الجهاد يقول الشيخ حمزة بوبكر : « كانت إذن طريقة سيدي الشيخ وذريته قد نشطت بروح حربية خفية، ومصممة على وضع حد لهذا الوضع الذي أصبح غير محتمل للثأر لموت فقيدهم المحبوب

(1) انظر يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 174.

المكرم غدرا، ولشرف الإسلام والوطن، فقرروا التمرد لخوض معركة بدون هوادة ضد فرنسا وعملائها الذين باعوا أنفسهم لها » [1].

وقد أتم زعماء أولاد سيدي الشيخ دراستهم للموقف وتجميعهم للأسلحة والمؤن وبث الدعاة، وشرعت السلطات الفرنسية من جهتها في إتخاذ الإجراءات لمواجهة الموقف، فدعمت قوات مراكز البيض وبوغار وافلوا، وكلف الضابط « بوبريتر» بالسير إلى ناحية البيض حيث كان السي سليمان يترصد تحركاته، وما إن وصل إلى هضبة عوينة بوبكر قرب البيض حتى فاجأه بقواته، وخاض معه معركة طاحنة يوم 18 أفريل 1864 قتل خلالها «بوبريتر» وأبيدت جميع قواته، كما قتل في المعركة سي سليمان بعد أن أبلى بلاء حسنا. [2]

وبعد استشهاد سي سليمان بويع أخاه محمد زعيما جديدا للثورة، ورغم صغر سنه وجد في عميه سي لعلى وسي الزبير خير معين، ولم يمض أسبوع عن هذه المعركة الحاسمة حتى تدعمت جبهة المجاهدين بالمؤازرين من مختلف الجهات، من قصور جبال عمور، وقصر الشلالة حيث انضم زعيمهم الأغا النعيمي للثوار، وأولاد مختار حيث التحق قائدهم بن عودة بالثورة، وفي هذه الفترة أعلن السي الأزرق بلحاج الثورة في قبيلته بجبال الونشريس وحوض الشلف، [3]

(1) انظر الشيخ السي حمزة بوبكر : المقاومة الشعبية لأولاد سيدي الشيخ، تر، محمد حسين سيدي الشيخ، (دن)، ص 23

(2) انظر يحي بوعزيز : المرجع السابق، -175 177.

(3) أنظر أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، 1860-1900، الجزء الأول، ط6، دار البصائر، الجزائر، 2009، 189 وما بعدها.

وقد شعرت السلطات الفرنسية بخطورة الوضع فأعدت أربعة فرق عسكرية لمواجهة الثورة، وعلى الرغم من هذا التجنيد الواسع للقوات الفرنسية فإن الثورة واصلت تحقيق نجاحتها وامتدت شرقا وغربا، من ورقلة وسوف إلى الحدود المغربية، وقاد سي الأعلى عدة هجمات على منطقة سعيدة والمشرية واخترق جبال عمور، وادخل الرعب في صفوف الفرنسيين، وقام الثوار في منطقة ميزاب بمهاجمة غرداية وورقلة، وشن سي الأعلى وسي محمد هجوما على فرندة وانتقلا إلى السرسو والهضاب العليا جنوب مدينة الجزائر، الأمر الذي جعل السلطات الفرنسية في حرج كبير.

وفي مطلع عام 1865 انتقل سي الأعلى إلى ورقلة لملاقاة الثائر ابن ناصر بن شهرة وطرد الفرنسيين من ورقلة، في حين عاد سي محمد إلى الأبيض سيدي الشيخ لدراسة الخطة الضرورية لمواجهة قوات «دولييني» الزاحفة على مقر الزاوية، وفي صباح يوم 4 فيفري 1865 فوجئ السي محمد بمقدمة القوات الفرنسية تهاجمه، فجرح جروحا بليغة أدت إلى إستشهاده، وخلفه أخوه سي أحمد في قيادة الثورة، وكان عمره لا يزيد عن اثنى عشر سنة، رعاه وحنكه عمه سي الأعلى العقل المدبر للثورة [1].

وخاض سي الأعلى وسي أحمد عدة معارك منها معركة خنقة سويز قرب الغاسول، ومعركة ولد ديغم قرب الشلالة القبلية، ومعركة عين تازينة يوم 9 أفريل 1865، وبعد فصل الصيف عاد ثوار أولاد سيدي الشيخ

(1) انظر عن مرحلة مقاومة سي أحمد، الشيخ سي حمزة بوبكر : المصدر السابق، ص – ص 37 – 45.

للهجوم على المناطق الداخلية بالجزائر ( سبدو، سيدي بلعباس، عين ماضي، متليلي، غرداية. .. ) وفي النصف الأول من شهر جانفي 1866 جمع سي أحمد قواته وانتقل إلى فقيق حيث سوى بعض المشاكل مع معارضي الثورة، ورجع في منتصف عام 1866 لتأديب المرازيق جنوب البيض، فلاحقته قوات الضابط « كولومب» واشتبكت معه في معركة حاسي بن عراب التي كانت نتيجتها قاسية على الطرفين، كما دخل سي الأعلى في مواجهة مع قوات الضابط « صوني» بغار القيفور في أفريل 1866 خسر فيها أمتعته وثرواته.

وفي سنة 1867 انتقل سي أحمد وثوار أولاد سيدي الشيخ للإستقرار بقرب الحدود المغربية، ودخل في مناوشات مع فرع الغرابة، مما خلف بعض الصعوبات وأدى بالسلطات الفرنسية والمغربية إلى عقد مفاوضات، عين إثرها خليفة لأولاد سيدي الشيخ الغرابة ليتكفل بالسيطرة على الأوضاع، وقوت فرنسا الصف المعارض لثوار سيدي الشيخ، وفي أكتوبر 1868 أعلن عن وفاة سي أحمد بمرض الكوليرا ليخلفه سي قدور أخوه في قيادة الثورة [1].

وفي شهر جانفي 1869 عاد الثوار إلى شن الهجومات داخل الجزائر خاصة بمناطق جبال عمور والبيض والأغواط، مما أعطى للثورة نفسا جديدا، وقد قاد سي الأعلى معارك قاسية في عين ماضي وخاض معركة أم دبدب، ثم عمل تنسيق نشاطه مع الثائرين ابن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة العائدين للمنطقة، أما بالناحية الغربية فقد عينت السلطات الفرنسية سليمان بن قدور أغا على البيض، وكلفته بمحاصرة زعيم الثورة

(1) انظر المصدر نفسه، ص – ص 45 – 64.

سي قدور بن حمزة في واد غير، وأعطت ثورة 1871 لأولاد سيدي الشيخ نفسا جديدا، وقد اضطرت السلطات الفرنسية لإبداء رغبتها في التفاوض مع سي قدور بن حمزة، لكن هذا الأخير الذي قبل التفاوض تراجع عن موقفه ودخل مع القوات الفرنسية في معركة يوم 17 أبريل 1871، وقد أظهرت المعركة تقهقرا في جانب الثوار مرده بروز الخلافات بين زعماء الثوار، وكانت معركة المنقب في ديسمبر 1871 قاسمة للظهر، إذ تفرق بعدها زعماء أولاد سيدي الشيخ في أماكن عديدة، واختار سي قدور مفاوضة الفرنسيين، فشكل وفدا من عائلته واتجه إلى وهران ثم العاصمة، واستقبله الحاكم العام في فيفري 1873 وقدم له الشروط الفرنسية للإستسلام ومنحه مدة ثلاث أشهر [1].

وبعد سنة 1873 فترت المقاومة ولم يشن ثوار أولاد سيدي الشيخ سوى ببعض المناوشات ضد المعارضين لهم بالبيض والحدود المغربية، وواجه زعيم الثورة سي قدور خلافًا حادا سنة 1878 مع ابن أخيه حمزة ولد بوبكر الزعيم الديني لزاوية أولاد سيدي الشيخ والذي مال لمسالمة السلطات الفرنسية، وأدت سنوات الحرب الطويلة والانشقاقات التي حدثت داخل أسرة أولاد سيدي الشيخ إلى فتور نشاط الثوار، واستقر سي قدور ولد حمزة بكرزاز في وقت بدأت تبرز في الأفق شخصية الشيخ بوعمامة لمواصلة المقاومة بنفس جديد.

### 3 – ثورة الشيخ بوعمامة

تعد ثورة بوعمامة حلقة من حلقات مقاومة أولاد سيدي الشيخ الشعبية ضد الإحتلال الفرنسي، وقد تواصلت طوال ثمان وعشرين

(1) trumelet ( colonel. c ) histoire de l'insurrection des ouled sidi cheikh ( sud algérien ) de 1864 a 1880. seconde partie. Alger. 1884. p-p-456457-.

سنة 1881 – 1908، وامتدت على مساحة واسعة بالجنوب الغربي. وللتعرف على هذه المقاومة نحاول التعريف بشخصية الشيخ بوعمامة وعلى مراحل مقاومته.

### أ – شخصية الشيخ بوعمامة

ينحدر الشيخ محمد بن ابراهيم المدعو بوعمامة من أولاد سيدي التاج، وهم أولاد بلحرمة ينتمون لأولاد سيدي الشيخ الغرابة الذين استقروا بالمغرب الأقصى بعد إبرام معاهدة لالا مغنية 1845، ولد بقصر حمام الفوقاني بفجيج حوالي سنة 1838، وبها نشأ وتعلم منذ صباه علوم القرآن والعربية وتكون داخل الزاوية الشيخية، وفي سنة 1874 انتقل بوعمامة إلى مقرار التحتاني الذي يبعد عن عين الصفراء بحوالي 60 كلم – وبنى زاوية للطريقة الشيخية، اتبع حياة الزهد والنسك حيث يقضي معظم أوقاته في التعبد وتعلم القرآن ودراسة علومه، وازدادت شهرته ونفوذه في المنطقة باعتباره زعيما روحيا يحضى باحترام قبائل المنطقة التي عولت عليه في إعلان الجهاد، وقد وعدهم بوعمامة بقرب الخلاص من الإحتلال الفرنسي وانه يحضر للثورة [1].

### ب– في أسباب الثورة ومراحلها :

بعد فتور ثورة أولاد سيدي الشيخ الأولى وهيمنت الإدارة الفرنسية وأعوانها على المنطقة ازدادت عزيمة بوعمامة على تغيير الوضع، وحمل راية الجهاد ضد الفرنسيين، وقد كان يستعد لذلك بكل قوة

(1) انظر حول شخصية بوعمامة، بودواية مبخوت : الشيخ بوعمامة الرجل المتصوف المجاهد، مجلة حولية المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد الأول، 2003، ص – ص، 269 – 273.

وعزيمة، حتى أن السلطات الفرنسية تناهى إلى مسامعها خبر إستعداده للثورة، وفعلا فعندما حاول الضابط «واينبرونر» اعتقال مبعثي بوعمامة لدى قبيلة لجرامنة اندلعت شرارة الثورة بمقتل الضابط مع أربعة من حراسه [1].

## ج – مراحل الثورة :

استنفر الشيخ بوعمامة جميع القبائل للجهاد، وأرسل إليهم رسائله يحثهم على التعبئة وجمع المؤن والأسلحة، وقد وجدت دعوة الجهاد صداها لدى قبائل لعمور وحميان والشعابنة... فضلا عن أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذين وعدوا بإرسال المدد والعون، وقد جمع بوعمامة حوله حوالي ألفين وثلاثمائة جندي وشرع في جهاده، ويمكننا تقسيم مراحل هذا الجهاد إلى مرحلتين متميزتين، الأولى عسكرية والثانية سياسية.

### – المرحلة الأولى : المرحلة العسكرية ( 1881 – 1883 )

تتميز هذه المرحلة باحتدام المواجهات العسكرية، وبتحقيق الثوار لانتصارات كبرى على القوات الفرنسية، حصل أول إصطدام بموقعة سفيسفة ضواحي عين الصفراء يوم 27 أفريل 1881، وأسفرت المعركة عن إنهزام الجيش الفرنسي المدعوم بفرق «القومية»، واثر هذه الهزيمة أسرعت القوات الفرنسية إلى تنظيم صفوفها وأرسلت طابورا عسكريا لمواجهة الثورة، وتوجه هذا الطابور بقيادة العقيد «انيوسنتي» إلى منطقة مغرار وهي مركز تجمع الثوار، فوقعت معركة حاسمة يوم 19 ماي 1881، قرب قصر الشلالة بجبال قصور، تحقق الإنتصار فيها للثوار بعد

(1) انظر يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 293–294

أن تفكك التنظيم العسكري للفرنسيين، وقد قدرت خسائر الفرنسيين بمائتين قتيلا، وكان للمعركة صدى واسع في الصحافة الفرنسية، إذ كتبت تقول أن بوعمامة أباد الجيش الفرنسي بالصحراء، وأن بوعمامة يثور أولاد سيدي الشيخ ثانية، وسارعت الإدارة الفرنسية للرد على ذلك، حيث أوحت إلى صحيفة « يقظة معسكر» للتشكيك في هذا الإنتصار، فكتبت الصحيفة تقول : «إن قواتنا حطمت جموع الثائرين»، والدليل على تكبد الفرنسيين للهزيمة لجوء الإدارة إلى تنحية «اينسنتي» وتعويضه بالجنرال «ديتري» قصد إنقاذ الموقف.[1]

واستغل بوعمامة هذا الإضطراب في صفوف الفرنسيين لينظم مسيرة إلى الشمال تزيد في تأكيد انتصاراته، دامت المسيرة الشهيرة 23 يوما، ( من 30 ماي إلى 21 جوان 1881 )، وقطع خلالها حوالي 730 كلم، انطلقت من مغرار إلى البيض، وجابت فرندة وتيارت، وعادت إلى بوسمغون، وبرهن الثوار خلالها على تفوقهم، وذلك بتصديهم للطوابير الفرنسية ومهاجمتهم لفرق القومية، كما قاموا بقطع خطوط الإتصال واغتيال بعض الخونة الجزائريين، وقد أدهشت هذه المسيرة الإدارة والرأي العام الفرنسي، وخلفت حسب المؤرخ أجيرون حوالي 53 قتيلا، أما يحي بوعزيز فقد قدر الخسائر بـ 287 رجلا ومليون فرنك، وأمام النجاح الذي حازه بوعمامة في مسيرته قامت السلطات الفرنسية بحملة عسكرية هدفت إلى القضاء على قوات بوعمامة وتهديم زاوية أولاد سيدي الشيخ ووجد بوعمامة في النزوح نحو الحدود المغربية مخرجا من الحصار المفروض عليه، وقد بادرت القوات الفرنسية لشن

(1) انظر عبد الحميد زوزو : ثورة بوعمامة 1881 – 1908، الجزء الأول، ط1، ش ون ت، 1981، ص – ص 7 21–

هجوم على الثوار بفجيج سنة 1888، وإضافة إلى الحصار المفروض من قبل الفرنسيين اجتمعت عدة عوامل لتضعف مقاومة بوعمامة، منها : عدم استقطاب زعماء أولاد سيدي الشيخ الشراقة ومنهم سي لعلى، وتفرق زعماء أولاد سيدي الشيخ بفعل الإغراءات الفرنسية، ووقوف الزاوية الوزانية المغربية ضد بوعمامة.

**المرحلة الثانية : المرحلة السياسية ( 1883 – 1908 ).**

عرفت هذه المرحلة الطويلة نسيبا فتورا في النشاط العسكري وتركيزا على النشاط السياسي، والمتمثل في إستقطاب الزعماء والقبائل للجهاد والتفاوض مع السلطات المغربية ومفاوضة الفرنسيين، وقد نهض بوعمامة بهذا النشاط وهو في منطقة دلدول بتوات حيث احتضن سكان قورارة المقاومة واستقبلوا الثوار وعائلاتهم، وفي دلدول بنى بوعمامة زاويته وحث السكان على الجهاد ومواجهة المخططات الفرنسية، وربط علاقات وثيقة مع القبائل الصحراوية، وكان هدف بوعمامة من اللجوء إلى هذه المنطقة هو إعادة تنظيم صفوفه والإستعداد للمقاومة إعتمادًا على قواعده الخلفية في الصحراء، وعلى الرغم من أن نشاطه العسكري كان فاترا إلا أن نشاطه السياسي كان يتضاعف يوما بعد يوم، فقد استقطب إليه سكان توات، وراسل مختلف القبائل والقياد والسلطات الفرنسية، واستعطف السلطان المغربي ليقدم له دعمه، وتشير مختلف المصادر إلى إمتداد حركة الشيخ بوعمامة إلى مختلف مناطق الجنوب الغربي، وأن بوعمامة كان سيدا مطاعا، وزعيما دينيا وسياسيا يحضى بنفوذ واسع، وهو ماجعل السلطات الفرنسية والعرش المغربي يتنافسان في كسب وده، إذ عرضت السلطات الفرنسية على بوعمامة الأمان، وعرض السلطان المغربي عليه الإنتقال إلى فقيق، وبعد تفكير ملي ورغبة منه

في إستغلال الوضع لتفعيل مقاومته قرر الإنتقال إلى فقيق سنة 1894، وحاولت السلطات الفرنسية مراوغة بوعمامة عن طريق المفاوضات ليساعد في مد نفوذها إلى الصحراء، وبادر الوالي العام لانيال يوم 16 أكتوبر 1899 بمنح بوعمامة الأمان دون شروط ن وتبادل معه الرسائل عام 1900 طالبا منه اللقاء به في عين الصفراء، لكن بوعمامة الخبير بمخططات الفرنسيين رفض ذلك وواصل إستعداده لتنظيم المقاومة، وقد لقي بفقيق مناصرة وتشجيعا من قبل زعماء القبائل، وتدخلت السلطات الفرنسية لدى المغرب لتطلب المساعدة في القبض على بوعمامة وعقدت معه إتفاقية الخدود المشهورة عام 1902، وقد طلب السلطان عبد العزيز من بوعمامة مغادرة بلاده مما دفع بوعمامة لإعلان الحرب عليه، وعندما أعلن الجيلالي الزرهوني إنتفاضته تحالف معه بوعمامة، وقد نقل قواته إلى الشمال وخاض عدة مواجهات في إقليم وجدة عامي 1904-1906، وشارك مع الزرهوني دخول وجدة يوم 29 جانفي 1905، لكن القوات المغربية المتحالفة مع القوات الفرنسية ردتهم، وقد انفصلا القائدين، واختار بوعمامة أن يسير بقواته إلى منطقة الحدود لمواجهة الفرنسيين،[1] وقد بدأت قواته في الفتور، خاصة بعد أن لاحقته القوات المغربية واعتقلت ابنه سي الطيب، ولكن بوعمامة رفض الإستسلام وواصل مقاومته ولما وهنت قواته لجأ إلى منطقة نائية وتوفي بها وذلك على الرغم من جميع محاولات الإغراء الفرنسية. وقد كانت ثورة بوعمامة حركة دينية سياسية منطلقها الزاوية الشيخية بما لها من

(1) انظر حول هذه المرحلة عبد الحميد زوزو : ثورة بوعمامة، الجزء الثاني، ط1 ش ون ت، الجزائر، 1983، ص 9 – 40 ويحي بوعزيز، المرجع السابق، – ص، 298 – 304

نفوذ روحي وتأثير سياسي وكان شعارها رفع راية الجهاد ضد المحتلين، وامتازت شخصية بوعمامة بورعها ونقاها، وكذا بموهبة القيادة الحربية والحنكة السياسية وإدراك المخططات الفرنسية والدسائس التي تفرق وحدة المسلمين.

وأخيرا يمكن القول أن الثورة لم تحقق كل أهدافها نظرا لتعرضها إلى عدة عقبات داخلية وخارجية حدت من قوتها ولعلى أهمها الإنقسام الذي ظل قائما بين فرعي أولاد سيدي الشيخ والذي استغلته الإدارة الفرنسية لصالحها وكذا نقص الإمكانيات المادية ووقوف سلطان المغرب ضد الثورة... الخ ورغم كل ذلك فهذه الثورة تعد مظهرا مشرفا من مظاهر المقاومة الشعبية للإحتلال الفرنسي.

**ثالثا : دور أولاد سيدي الشيخ في ثورة الفاتح نوفمبر 1954**

كان لإندلاع ثورة الفاتح نوفمبر 1954 وقع على مناضلي وسكان أولاد سيدي الشيخ، إذ قوبلت بالتهليل والشوق لإحتضانها والإنخراط فيها، وشرع زعماء فروع القبيلة في التجنيد وشن العمليات العسكرية وذلك قبل وصول نظام الثورة إلى المنطقة، وفي هذا دلالة على أن أولاد سيدي الشيخ كانوا يتحينون فرصة للرد على الجرائم الفرنسية المرتكبة في حقهم، وأنهم ظلوا على النهج الثوري يتربصون بالعدو الكافر الذي أخضعهم بالقوة لسيطرته.

لقد تحمل قادة أولاد سيدي الشيخ مسؤوليتهم كاملة، فما أن وصلتهم أخبار الثورة حتى انخرطوا فيها، فهذا مولاي إبراهيم ( المدعو عبد الوهاب ) زعيم أولاد سيدي الحاج بن الدين بالأبيض سيدي الشيخ، كان زعيما لقومه وقائدا شجاعا محنكا، جند أفراد قبيلة المسلحين في

صف الثورة مبكرا، كما جند القائدين بوشريط بن يوسف والعماري محمد [1]عناصر قبيلتهما ونافساه السلطة عام 1956، وقد تدخلت قيادة الولاية الخامسة لتقر مولاي إبراهيم على قيادة منطقة أولاد سيدي الشيخ، وذلك بعد إغتيال بوشريط في ظروف غامضة ونفي العماري إلى المغرب، فتولى سلطة الناحية الشرقية من المنطقة الثامنة. وأصبح عضوا في قيادة الولاية الخامسة برتبة رائد. وهو يتحدث في مناسبات عدة عن مساهمته النضالية ودور أولاد سيدي الشيخ في حمل لواء الثورة في منطقة الجنوب الغربي وداخل القواعد الخلفية في المغرب [2].

وكان لأولاد سيدي الشيخ دورًا بارزًا في نشر الثورة في مناطق واسعة من التل والصحراء، ومنها المنطقة الثامنة داخل المغرب والمنطقة الثالثة

(1) العماري محمد ( المقراني ) : من أولاد زيان الأعراب الذين اشتهروا بمقاومتهم للإستعمار بأولاد سيدي الشيخ، ولد بالبيض عام 1932، وأبدى وهو شاب يافع ميولا للتمرد على كل أشكال الظلم والتسلط اللفرنسيين، اكتسب شهرة واسعة وأسطورية أحيانا بفضل شجاعته وحملاته ضد القومية والفرنسيين. وعندما اندلعت الثورة جمع أنصاره وأعلن الجهاد بصفة تلقائية، ووجد مساعد كبير من أولاد سيدي الشيخ وأولاد زيان وأولاد معلة. وفي عام 1955 اتصل بقيادة المنطقة الخامسة بواسطة قاضي أحمد فكلفته بمسؤولية الثورة في المنطقة، نافسه في زعامة الثورة قادة أولاد سيدي الشيخ مولاي إبراهيم وبوشريط بن يوسف، وقد أثرت هذه المنافسة والعروشية في تمزيق وحدة صف الثورة في المنطقة وعليه قررت قيادة الولاية الخامسة في مارس 1956 فض هذه المشكلة العويصة وتوحيد كلمة الثورة في المنطقة المتنازع عليها بين ثلاث زعمات عروشية.
وقد اقتضت مصلحة الثورة استدراج العماري إلى المغرب واعتقاله هناك، خاصة بعد رفضه الخضوع للقيادة الجديدة للثورة بمنطقة أولاد سيدي الشيخ. وتمكن من الفرار من سجنه واستقر في الدار البيضاء إلى غاية وقف إطلاق النار، وقد كانت وطنيته تدفعه باستمرار لعرض خدماته على جبهة التحرير الوطني بالمغرب، بعد الإستقلال عاد إلى أرض الوطن واستقر بمسقط رأسه.

(2) انظر شهادته المسجلة في إذاعة النعامة، نوفمبر 2005

في عمق العرق الغربي، وفي منطقة اعمور والجلفة حيث حاربوا المصالية بشجاعة، ومن بين صور البطولة التي أظهروها تحملهم مسؤولية تثوير منطقة قورارة وتوات عام 1957. وهو ما نحاول تفصيله لتأكيد الدور الهام لأولاد سيدي الشيخ في المنطقة الصحراوية.

في بداية سنة 1956 وصل نظام الثورة إلى منطقة الأبيض سيدي الشيخ، وسعى مناضلوا توات إلى ربط الإتصال بهذه التخوم في محاولة لإدخال النظام إلى المنطقة. (1)

وقد بادر مناضلوا أولاد سيدي الشيخ من أحفاد رفاق بوعمامة الذين وفدوا معه إلى دلدول واستقروا بالمنطقة إلى عقد إجتماع في منتصف سنة 1956 حضره كل من الهاشمي محمد، نواري نوار، قدوري قادة، حكومي محمد... الخ. وقرروا الإلتحاق بصفوف الثورة في نواحي الأبيض سيدي الشيخ، وفي النصف الثاني من سنة 1956 ربط الهاشمي محمد الإتصال بقيادة المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة، ووضع فيه سي لطفي وسي عبد الغاني كل الثقة، وعاد ومعه توجيهاتهم بالإستعداد لتفجير للثورة(2). ومن جهته رجع أخوه الهاشمي الشيخ بأخبار الثورة من ناحية الأبيض سيدي الشيخ، وقد طلب منه كل من مولاي إبراهيم وسي العماري نقل منشورات وصحف الثورة إلى تيميمون، فدعا إلى عقد إجتماع بعين حمو في سبتمبر 1956 حضره أربعة عشر شخصا، ودار الحديث مطولا عن الثورة وانتشارها وضرورة لحاق المنطقة بركبها،

(1) انظر شهادة المجاهد سليمان الدين، مسجلة بأدرار يوم 9/ 3/ 2004

(2) المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية أدرار : تقرير كتابة تاريخ الثورة لولاية أدرار، المقدم للندوة الجهوية للغرب، سعيدة ن 1989، ص 5.

وتقرر تسفير ثمانية أشخاص للتجند بناحية الأبيض سيدي الشيخ [1].

وأما مناضلوا تميميون القدامى فسعوا بدورهم مرارا للإتصال بالثورة إلى أن جاءهم جغابة محمد المكلف من قبل الولاية السادسة بتعميم نظام الثورة بالصحراء، وفي الإجتماع الذي عقده مع المناضلين بدار بودواية نهاية سنة 1956 شكلت اللجنة الخماسية لجبهة التحرير الوطني بتيميمون، وشملت كل من السادة : عبد العزيز أقاسم رئيسا وبودواية بودواية وبوحادة عبد القادر وبومدين سلكة والعامري بشير أعضاء وتكلفت اللجنة بأعباء التعبئة وإنشاء الخلايا السرية ومراكز التموين وجمع المؤونة للمجاهدين. [2]

واتصل الهاشمي محمد ثانية بالمنطقة الثامنة واتفق مع عبد الغني عقبي[3] «على نشر الثورة بالمنطقة بمساعدة قائد الناحية الثالثة سي فرحات»[4]، فعاد إلى المنطقة ليشرف على وضع اللمسات الأخيرة لإنتفاضة المهاريين، واتصل باللجنة الخماسية بتميمون طالبا منها إنشاء خلايا للفداء والإستعداد للثورة، ونجحت جهوده في إرساء النظام والتحضير لإنتفاضة حاسي صاكه في أكتوبر 1957.

---

(1) انظر شهادة الهاشمي الشيخ، مسجلة بتنركوك، يوم 24/ 06/ 2004، محفوظة بمتحف المجاهد بأدرار.

(2) أنظر شهادة مكتوبة لبودواية بودواية محفوظات شخصية.

(3) عبد الغاني عقبي : من المجاهدين الاوائل بالمنطقة الوهرانية، كلف بالعمل في المنطقة الثامنة وتولى مسؤوليات عليا في قيادة الولاية الخامسة.

(4) بلعيد أحمد المدعو فرحات : ولد بتاريخ 23/ 05/ 1920 ببشار، كان ملازما أولا في جيش التحرير وتولى قيادة المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة وأصبح في عام 1960 قائدا بارزا في قيادة الولاية الخامسة، وعاش فترة الإستقلال.

وقد تولى هذه الإنتفاضة التي قضت على الضباط الفرنسيين الثمانية رجال فرقة المهاري، حيث لجأ المحتل إلى تجنيد العناصر المحلية الخبيرة بالمنطقة، والتي تملك قدرات كبيرة على اقتفاء الأثر، ونقصد بذلك الشعانبة وأولاد سيدي الشيخ المنحدرين من تلك القبائل المحاربة التي ناصرت المجاهد بوعمامة مع نهاية القرن التاسع عشر وهاجرت معه من مواطنها في متليلي والأبيض سيدي الشيخ إلى منطقة توات.

والحقيقة أن كل المؤشرات كانت تؤكد أن جذوة المقاومة ظلت متقدة في أعماق هؤلاء المهارية وأن ريح الثورة التي بدأت تهب على المنطقة سرعان ما تعيد إشعالها.

إن علاقة المجندين الجزائريين مع رؤسائهم الفرنسيين في كتيبة المهاري قد تدهورت منذ أحداث وادي سوف، فقد لاحظ الضباط الأوربيون أن المهارية يتلكؤن في تأدية الأعمال اليومية الموكلة إليهم [1]، كما لاحظوا أن معظم المهارية قد طالبوا تسريحهم من الجندية لما بلغوا أمقيد شهر أكتوبر 1955.

وقد شعر النقيب « موري» بدقة الموقف وخطورة هذه التطورات المتلاحقة ولا سيما انهيار ثقته في المهارية الجزائريين، عندئذ حاول تصحيح أخطائه لما أدرك جدية المهارية في قرار الانسحاب. فأرسل النقيب موري سليمان بن عبد الله إلى الدين سليمان وبن سعيد محمد إلى الهاشمي محمد وجيبو عبد الله إلى عبد الله بلعقون قصد ثنيهم عن قرارهم غير أنه لم يفلح في ذلك.

هؤلاء الثلاثة كانوا قد غادروا الكتيبة المهارية منذ خمسين يوما غير آبهين بالأجور المغرية التي قطعت عنهم وعن عيالهم، كما سحبت

(1) شهادة الدين سليمان أدرار 09 مارس 2004. مقابلة شخصية.

وثائقهم ومنعت عنهم الإجازات. ولما عادت هذه المجموعة إلى أدرار خريف 1955 زج بهم في سجن القلعة [1] واخضعوا إلى عقوبة الأشغال الشاقة مع عشرة من رفاقهم، ولم يطلق سراح المجموعة الأولى المشكلة من الدين سليمان وقويدري قادة بن محمد ومولاي قادة الذي لم ينضم إلى جبهة التحرير، إلا في الفاتح جانفي 1956 في حين ظلت مجموعة أخرى قابعة في السجن ولم يطلق سراحها إلا شهر أكتوبر 1956 وكان من ضمنهم الهاشمي أمحمد. وفي حاسي فرسيخة كانت مفاجأة النقيب موري أكبر لأن حالة التمرد أصبحت عامة وليس من تدبير الهاشمي محمد أو مجموعة الصغيرة، ففي العاشر أكتوبر 1956 سرح نحو عشرين نفرا من المهارية.

وبينما كان هذا الضابط يعتقد أنه تسبب بأخطائه في نفور المهارية، كان رفاق الهاشمي محمد قد وصلوا إلى قناعة وطنية بأن الإستمرار في العمل ضمن المهارية مع إندلاع الثورة التحريرية خيانة للوطن والدين. [2]

والواقع أن تسريح المهارية من الجندية قد كان فرصة تاريخية انتظرها الهاشمي أمحمد وحميدة بلعقون والزاوي مول الفرعة[3] ورفقاؤهم الذين انظموا إلى جبهة التحرير الوطني منذ سنة 1956، وعملوا على إبقاء الإتصال بالمهارية لجمع الإشتراكات وتحريضهم على

(1) كانت القلعة قائمة في المنطقة التي تقع فيها اليوم مديرية التربية لولاية أدرار والمجمع البنكي

(2) Patrick – charles renaud , OP. Cit , p 142.

(3) الزاوي مول الفرعة : ولد سنة 1932 بفاتيس بتيميمون، التحق بجبهة التحرير عام 1956 وبجيش التحرير مع انتفاضة حاسي صاكه عام 1957، عمل كمسؤول سياسي واستشهد في معركة حاسي غامبوفي 21/ 11/ 1957.

الإنتفاضة [1]. ويبدوا أن السيد الدين سليمان، الذي تحول إلى التجارة بين توات والأبيض سيدي الشيخ قد نجح في الإتصال بعناصر مهمة في جبهة التحرير في بوسمغون بالأبيض سيدي الشيخ شهر مارس 1956 ومنهم السيد عفون أحمد [2] المدعو احمد بلعور نائب المجاهد الشيخ بوشريط الذي كان مسؤولا عن ناحية البيض سيدي الشيخ ومتحصنا بجبل تامدة [3]. ولما همت القافلة بالعودة إلى قورارة، بعد أن اشترت الثورة حمولتها من التمور، لقيهم السيد بوشريط ودعاهم إلى تنظيم أنفسهم على أن يكون المجاهد عفون أحمد هو الواسطة بين الطرفين.

وقد كان هذا الإتصال تمهيدا لذلك اللقاء التاريخي الذي جرى بتينركوك صائفة عام 1956 في منزل الزاوي الشيخ، مقدم زاوية سيدي الشيخ بنفس البلدة، والذي حضره نحو أحد عشر رجلا.

أفتتح هذا الإجتماع السري السيد الزاوي الشيخ بن مبروك [4] قائلا : «نحن سائرون إلى الجهاد في سبيل الله ومادامت المنطقة لا تساعد على الجهاد سننتقل إلى الأبيض سيدي الشيخ ومنها إلى جبل تامدة حيث معقل الشيخ بوشريط».

---

(1) عبد المجيد بن يعقوب، معارك العرق الكبير 1957 – 1962، غير منشور، أدرار 1996، ص 6.

(2) عفون أحمد : من مواليد 1962 بن أحمد وفاطمة

(3) شهادة المجاهد الدين سليمان، ادرار 10 مارس 2004

(4) الزاوي الشيخ مقدم زاوية أولاد سيدي الشيخ بتينركوك هو صهر أمحمد بالهاشمي ومحمد بالهاشمي، تنقل مع الدين سليمان إلى الشيخ بلكبير وطلب رأية في احداث الثورة فرد عليه : « إن الذي أنتما قادمان عليه هو الجهاد في سبيل الله وبإذن الله أنتما ناجحان».

خرج من فاتيس رجال قاصدين جبل تامدة يقودهم الشيخ بن مبروك، ويذكر الذين حضروا الإجتماع أنه قد وقع تنافس بين صهري الزاوي الشيخ، الأخوين الهاشمي الشيخ والهاشمي أمحمد حول من يلتحق بالثورة ومن هو مطالب بالمكوث في البيت لرعاية شؤون العائلة [1].

وإذا كان الهاشمي الشيخ قد انتقل مع سبعة من رفاقه إلى جبل تامدة فإن الهاشمي أمحمد قد بقي في المنطقة ونسق مع ثلاثة مناضلين هم الدين سليمان ونواري نوار، المدعو بن حدوش، والشيخ بوبكر أحمد مرزوق المدعو قريش، العمل من أجل إنشاء نواة للثورة بالمنطقة. وما لبث أن توسع النظام وأنشأت المراكز وازدادت الرغبة في تفجير الثورة بالمنطقة، وقد كانت حماسة أمحمد كفيلة بتقريب موعدها، وقد كلف بربط الإتصال بمنطقة بشار حيث تتركز قيادة الثورة.

وفي رسالة نقلها السيد الدين سليمان طلبت قيادة الولاية الخامسة في فقيق حضور السيد الهاشمي أمحمد الذي انتقل في الثلاثي الثاني من 1957 ولقي الضابط عبد الغني عقبي، المدعو عمار، حيث سلمه العلم الوطني واختام الجبهة وعينه رسميا كمسؤول سياسي وعسكري لما لاحظه عليه من قوة الشخصية، كما أهداه بعض الأسلحة وطالبه بالتنسيق مع الضابط بلعيد أحمد، المدعو سي فرحات، الموجود بوادي الساورة وأختار له إسما ثوريا هو «أبو نافع»[2].

(1) مقابلة مع المجاهد الهاشمي الشيخ، تينركوك 24 جوان 2004

(2) شهادة الدين سليمان، أدرار في 10 مارس 2004. أنظر أيضا عبد المجيد بن يعقوب المرجع السابق، ص : 6. أنظر أيضا رسالة م قاسم إلى عبد الغني عقبي في عبد المجيد بن يعقوب، معارك العرق، مرجع سابق.

وكان أول إتصال له مع السيد أعلى حناني[1] ومحمد بن دحمان بوساطة محمد بن الهاشمي منذ جانفي 1957، حيث التقى كل المهارية وقرروا سريا الإنتفاضة في مثل ذلك التاريخ السنة القادمة وتعاهدوا على إبقاء الأمر سرا وعدم القيام بأي أمر قد يثير إنتباه رؤساءهم الأوربيين [2].

وتؤكد مصادر أخرى أن المهارية قد كانوا على إستعداد للإنتفاضة، بل إنهم أصبحوا يستعجلون ذلك، بدليل أن السيد بيدة محمد قد قام في شهر مارس 1957 بإرسال مكتوب إلى السيد فرحات الذي كان متواجدا في حاسي ديبوني يطلب فيها مع رفاقه الإذن بقتل جميع الفرنسيين والإلتحاق به [3].

غير أن السيد فرحات قد رد على طلبهم بضرورة التريث وتأجيل العملية إلى غاية تحضيرها الجيد وضمان نجاحها، ولن يكون ذلك ممكنا إلا في شتاء السنة القادمة وبإذن من قيادة جيش التحرير حسب الرسالة المختومة التي رد بها السيد فرحات على الطلب. [4]

ويبدوا أن قيادة الثورة قد كانت تخطط إلى أبعد من الإنتفاضة ونعني

---

(1) علي حناني : من مواليد تينركوك سنة 1924 ينتمي إلى عائلة فقيرة إلتحق مبكرا بصفوف الثورة، وقد لعب دورا كبيرا في تشجيع المهاريين على الإلتحاق بالثورة سنة 1957 وقد شارك في معارك العرق الأولى ثم انتقل إلى فقيق حيث كلفت قيادة المنطقة الثالثة بإنشاء الناحية الثالثة بالعرق فعاد إلى العرق من جديد واشرف على جيش التحرير بالمنطقة منذ 1959، اشتهر بشجاعته وحنكته السياسية واصل أداء مهامه إلى غاية نيل الإستقلال، التحق بالجيش الوطني الشعبي إلى غاية سنة 1971 وتوفي في 09 أوت 1983 بتينركوك ولاية أدرار.

(2) الميلود بلعقون، معركة حاسي صاكه، في مجلة 1 نوفمبر 1954 : العدد 77 ص : 21.

(3) مقابلة مع المجاهد الميلود بلعقون، أدرار 04/ 10/ 2004

(4) مقابلة مع المجاهد خويلد بن محمد المدعو بوليلا، تيميمون، جوان 2004.

بذلك ضمان بقاء هؤلاء المهارية في العرق الكبير لفتح جبهة جديدة بحيث تكون لجيش التحرير نقاط تموين دائمة بالماء والغذاء.

ثم أن اختيار فصل الخريف أو الشتاء قرار صائب من الوجهة الإسترتيجية في ميدان تلعب فيه ظروف الطبيعة دورا أساسيا فلا يعقل أن تجري العملية في فصل الحرارة.

قبل الشروع في الإنتفاضة نضم السيد فرحات تنسيقا بين شهري أوت وسبتمبر 1957 في واحة نخيل قرب مركز تموين تامزلان الذي يشرف عليه الشامخة محمد[1]، وقد حضر سي فرحات في نحو ثلاثين من جنده قصد رفع معنويات الآخرين وتشجيعهم على المضي في العملية كما حضره الهاشمي أمحمد وآخرون.

القى سي فرحات خطابا بإسم مسؤول الولاية السيد عبد الغني، شجع فيه المجاهدين وتحدث عن سير الثورة وضرورة نقلها إلى الصحراء، كما أنه أكد على أحداث تنظيم رسمي للجيش التحرير بمنطقة العرق في حالة نجاح الإنتفاضة بحيث يكون سي فرحات هو القائد والهاشمي أمحمد محافظا سياسيا وقائدا عسكريا لجبهة التحرير بالمنطقة.

وقد تبين في هذا الإجتماع، من خلال الإتصالات التي جرت مع المهارية في حاسي صاكه، أنهم هم الذين حددوا تاريخ 15 اكتوبر 1957 للقيام بالإنتفاضة

ومرد هذا الإختيار أيضا إلى كون الكتيبة قد اجتمعت كلها بتحويل الكتيبة الثالثة وتقاضي أفرادها أجورهم في إنتظار أن يعاد تقسيمهم

(1) الشامخة محمد : من مواليد سنة 1931 بمتليلي ابن الشيخ وزقات مباركة

وتحريكها نحو الجهات المختلفة [1]. إلا أن رأيا أخر يقول أن الإنتفاضة قد كانت مقررة شهر نوفمبر والذي غير تاريخها إنما هو إعتقال جماعة من المناضلين في أدرار مما جعل الآخرين يعجلون المهمة [2]

وقد تقرر أيضا في حاسي تاسلغة تعيين الهاشمي أمحمد نائبا لفرحات وبلعقون احميدة نائبا للهاشمي أمحمد وعبد القادر الزيادي، المدعو كحلوش، كي ينسحب مع المهارية المنتفضين إلى المراكز التي يقيم بها الملازم فرحات [3].

قام هذا الضابط بتعيين جماعة أخرى تقوم بالهجوم على ثكنة تيميمون بالتزامن مع إنتفاضة حاسي صاكه مستفدين من إستعداد اليتيم الشيخ [4]، رئيس القومية، التمرد مع رفاقه [5].

وإن كانت فكرة الهجوم على تيميمون قد تم التراجع عنها إلا أن انتفاضة حاسي صاكه تم التخطيط لها بشكل محكم ونفذت في موعدها، حيث قتل المهارية الضباط الفرنسيون واستولوا على الأسلحة والتحقوا بمنطقة تنكركوك، ومهد هذا لحصول معارك العرق الكبير في خريف

(1) شهادة ميلود بلعقون، أدرار 3 ماي 2004.

(2) شهادة ميلود بلعقون، أدرار 3 ماي 2004.

(3) ميلود بلعقون، معركة حاسي صاكه، مجلة 1 نوفمبر، العدد 77، سنة 1987، ص : 21

(4) اليتيم الشيخ : ولد خلال 1915 بتاعنطاس بتينركوك ابن أحمد وبودينة امباركة متزوج وله ثلاثة أولاد، يحسن القراءة والكتابة، التحق بجيش التحرير في 13/ 10/ 1957 وشارك في ثلاثة معارك رتبته العسكرية نائب مسؤول قسم، استشهد سنة 1957 في معركة حاسي غامبو وعمره 42 سنة.

(5) المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير كتابة تاريخ الثورة لولاية أدرار، من 20 أوت 1956 إلى عام 1958، ص : 12 وقد عينوا الهاشمي أمعمر وقدور بن أمحمد المعروف بالعيشاوي.

عام 1957، فقد قاد الهاشمي أمحمد معركة حاسي غامبو يوم 21 نوفمبر 1957، وابلى فيها البلاء الحسن، ونظرا لعدم تكافئ القوى فقد استشهد فيها اثنان وثلاثون مجاهدا ومنهم البطل الهاشمي امحمد [1].

وعلى ضوء ما سبق توضيحه نخلص تأكيد مايلي :

- أن مبادئ وتعاليم الطريقة الشيخية تتبنى البعد الثوري، وتتمسك به في مجابهة الأخطار الداخلية والخارجية، وذلك على الرغم من مبادئ التسامح المعروفة بها.

- لقد جسد أولاد سيدي الشيخ المبدأ الثوري لطريقتهم في مواجهتهم للإحتلال الفرنسي الذي هدد أرضهم وعرضهم ورفعوا عاليا مبدأ الجهاد في سبيل الله، وذلك منذ انتفاضة سي سليمان عام 1864 وإلى غاية وفاة المجاهد المتصوف الشيخ بوعمامة عام 1908. وهو ما توج هذه المقاومة أطول المقاومات الشعبية التي صمدت في وجه الإحتلال بكل شجاعة وصمود.

- أنه وعلى الرغم من توقف المقاومة الشعبية فإن أولاد سيدي الشيخ ظلوا على موقفهم الرافض للإحتلال يتحينون باستمرار الفرصة للثورة على الفرنسيين وقد سجلنا حضورهم المشرف في الكفاح السياسي والعسكري للولاية الخامسة، حيث تولوا مسؤوليات عليا في قيادة الولاية، وقادوا العديد من الإنتفاضات والمعارك.

---

(1) – شهادة الدين سليمان، أدرار 10 مارس 2004، وانظر أيضا تقرير كتبة تاريخ الثورة لولاية أدرار بين 20 أوت 1956 – 1958، ص : 12

* نصبت اللجنة الخماسية أواخر شهر نوفمبر 1956 بتيميمون من قبل السيد جغابة محمد بحضور الهاشمي أمحمد وضمت أقاسم عبد العزيز رئيسا إلى غاية 1958 ورحل إلى المغرب. عمل معه بوحادة عبد القادر نائبا وسلكة بومدين مكلفا بالمالية والعامري بشير كاتبا وبودواية بودواية مكلفا بالأخبار.

# الطريقة الشيخية بمنطقة متليلي الشعانبة

د. سرقمة عاشور
المركز الجامعي غرداية.

سنحاول في هذه الورقة التعريف بالطريقة الشيخية بمنطقة متليلي الشعانبة، معرفين بالمنطقة وببعض أعلام هذه الطريقة بهذه البلدة.

**التعريف بمنطقة متليلي الشعانبة :**

**البحث الأول: التعريف بمنطقة متليلي الشعانبة.**

**1) أصل كلمة متليلي:**

تقول إحدى الروايات أن أصل كلمة متلييلى أطلقها الرحل مثل «ليلي»، وهو واد بالمغرب يشبه واد متليلي فقيل: مثل ليلي[1].

وتقول رواية أخرى أن كلمة متلياي مكونة من قسمين «مت» التي تعني: العسل، «ليلي» التي تعني : المكان، فمتليلي تعني مكان العسل[2].

(1) مجلة الدرب، جمعية اليتيم، متليلي، مقال ل: بن عبد الرحمان سمية، 2008، ص:5.

(2) تقرير مكتب الدراسات، الأبعاد الثلاثة، لصاحب ميهري، عن بلدية متليلي، الجزائر، 1995، ص:5.

## 2) متليلي جغرافيا:

تقع بلدية متليلي الشعانبة على خط عرض 17 °و 32 ° شمالا وخط طول 41 °و 03 ° شرقا وتبعد بمسافة 45 كم عن مقر ولاية غرداية 675كم عن العاصمة الجزائرية، يحتضنها وسط الجنوب الجزائري، وترتفع عن مستوى سطح البحر بـ 525م[1]، يحدها شمالا بلدية غرداية والعطف، وبونورة، وضاية بن ضحوة، وولاية الأغواط، من الشرق بلدية زلفانة، وولاية ورقلة، ومن الجنوب بلدية سبسابة، ومن الغرب ولاية البيض.

**أ)المساحة**: تتربع دائرة متليلي على مساحة شاسعة تقدر بـــ 7300 كلم2 الجزء الأكبر من هذه الأرض شعاب وأودية متشابكة التي تسمى محليا «الشبكة».

**ب) الوضعية الديمغرافية**: «بلغ عدد سكان متليلي 40983 نسمة، سنة 2008 بكثافة سكانية تقدر بـــ: 5.42 نسمة/ كلم2»[2].

**ج) المناخ** : مناخ متليلي قاري ذو مدى حراري كبير فصليا ويوميا، وهو متطرف في درجاته ففي الشتاء يتميز بالبرودة القاسية، وخاصة في الليل إذ تكون معدلات الحرارة من( 01 ° إلى15 °) أما في الصائفة فإن معدلات الحرارة تفوق 35 °وربما وصلت إلى 45 °، في حين أن تساقط الأمطار يعد أقل، وهو غير مستقر على تعاقب الفصول( 70مم سنويا).

ونظرا لارتفاع درجة الحرارة ونفاذية السطح، فإن المياه تتسرب عبر الرمال مما يجعل المخزون المائي السطحي قليل جدا مقارنة بالخزانات الارتوازية في الأعماق.

---

(1) نفسه، ص: 1.

(2) عن مكتب الاحصاء، بلدية متليلي، بالتاريخ: 22 مارس 2008.

**د) الرياح**: وهي تختلف في قوتها وتوزعها من فصل إلى آخر وغالبها شمالية غربية شتاء، وهي عبارة عن رياح باردة، تتسبب في هطول الأمطار، ويصل متوسط سرعتها في هذا الفصل إلى 22م/ ثا، في حين تكون جنوبية شرقية صيفا وهي رياح جافة تعرف بـ «الشهيلي»، وتبتدئ غالبا في أول الربيع وهي متبوعة بزوابع رملية تزيد من جفاف المنطقة وتعرية الغطاء النباتي، ويصل متوسط سرعتها 26م / ثا.

**هـ) الغطاء النباتي**:تتميز المنطقة بقلة الغطاء النباتي والذي يمتاز بأنه كثير الصلابة وأقوى احتمالا لقيظ الشمس وقسوة المناخ، ومن أنواعه:«الرقيق»، «الشيح»، «الدرين» الذي يعد مصدرا غذائيا مهما للإبل[1]

### 3) أصل كلمة الشعانبة:

كانت القبائل الأولى للشعانبة تقوم بإشعال النار ليلا واضرام الدخان نهارا ليراه الضال وابن السبيل، وسمي بـــ «شعاع النبأً»، فأتت منه كلمة الشعانبة.

### 4) أصل عرش الشعانبة:

تعود أصول الشعانبة (وهم عبارة عن تجمع قبائل عربية كثيرة)، إلى قبيلة سليم بن منصور القيسية المضرية العدنانية وهم يتحدرون من بطن علاق بن عوف بن بهثة بن سليم بن منصور بن عركمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معبد عدنان.

وكان وفودهم إلى المغرب في التغريبة الشهيرة لقبائل بني هلال سليم والمعقل على إفريقية، وذلك عندما سمحت لهم الدولة الفاطمية باجتياز

(1) عبد الحليم بيشي، تطور الثورةالجزائرية في ناحية غرداية، مخططو رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف الدكتور: شاوش حباسي، جامعة الجزائر، 2001، 2002، ص: 11، 12.

النيل والانسياج في المغرب لتأديب الدولة الزيرية التي تمردت على الخلافة الفاطمية بمصر.

«و قد استقر جل القبائل السليمية في ليبيا، في حين أكملت القبائل الهلالية (رياح، الأثبج، زغبة) زحفها على الأقطار المغربية الثلاثة وذلك في أوساط القرن الخامس الهجري، وقد كان فود قبائل الشعانبة من الصحراء فزان متأخرا عن الدخول الهلالي بقرابة قرن كامل حيث ساحوا في الصحراء الممتدة بين العرقين الشرقي والغربي الكبيرين، وكان الاستقرار الأول لهاته القبائل في منطقة متليلي في حوالي سنة 1150م، وبدأ هذا التجمع القبلي بالانتشار بعد الضغط السكاني والازدحام على المراعي وموارد المياه، وهكذا هاجر بطن «الماضي»[1] إلى القليعة في القرن 16م واتجه بطن «بوروبة»[2] شرقا إلى ورقلة، فيما هاجرت بطون أخرى عقب ثورة بو عمامة إلى المناطق الشمالية الغربية من الصحراء، كما أن قبائل أخرى اتجهت إلى منطقة وادي سوف.

وينقسم الشعانبة متليلي إلى بطنيين كبيرين، هما: فريق أولاد علوش ( الثوامر) ويضم حوالي ثماني قبائل، وفريق أولاد عبد القادر ويضم حوالي خمس قبائل، إضافة إلى بعض القبائل اللطيفة والحليفة ومجموعات من الأشراف والمرابطين والزوا وكذا الزنوج وغيرهم من الذين التحقوا بهذا التجمع القبلي على مرور الأيام والأحداث»[3].

(1) هي فرقة الشعانبة استوطنت القليعة ( المنيعة حاليا).

(2) هي فرقة من الشعانبة استوطنت ورقلة.

(3) عبد الحليم بيشي، تطورت الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، مخطوط، رسالة ماجيستير في التاريخ، إشراف الدكتور: شاوش حباسي، جامعة الجزائر، 2001/ 2002، ص: 11، 12.

وبالتالي صار أهل متليلي منقسمين إلى:

**أولا: أولاد علوش ويندرج تحتهم**

- أولاد إبراهيم.
- أولاد موسى.
- الثوامر.
- الباهزة.
- الشلق.
- اجرودة.
- أولاد عيسى بن موسى.
- اعميرات.

**ثانيا: أولاد عبد القادر.**

- القمارى.
- العوامر.
- السوائح.
- أولاد حنيش.
- أولاد عامر.

**ثالثا: أما القصر القديم فكان يقطنة:**

- الشرفة.
- المرابطون.
- أولاد اسماعيل.

– بني إبراهيم.[1]

«أما شعانبة المنيعة فينقسمون إلى خمس فرق هي : الماضي، وأولاد عيشة، وأولاد سيدي الحاج يحي، وأولاد فرج، وأولاد زيد»[2].

كما ينقسم شعانبة ورقلة إلى: أولاد اسماعيل، والقبالى، وأولاد سعيد.

**5) الحياة الاجتماعية:**

يشكل الشعانبة نظاما هرميا متماسكا، والزعامة فيهم وراثية مبدئيا مع اشتراط الموافقة على هذا الترشيح من طرف جماعة الكبار، وزعيم القبيلة أو العشيرة يقوم بدور القاضي، والمفاوض، والمصلح الذي يفصل في التراعات.

وعلى صعيد التنظيم الاجتماعي تقوم قبيلة الشعانبة على أساس سيادة الأب في الأسرة التي تشكل مع غيرها عشيرة، تجمع بينها إلى جانب أواصر الدم العادات والتقاليد والجوار، أو ظروف المعيشة أو كلا الأمرين معا، وتتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي، والتزاوج بين الشعانبة يقع في حضن العائلة أو العشيرة... في الحلل والترحال[3].

**6) الحياة الثقافية:**

تلألأت منطقة متليلي بأعلام قادوا إمامة المسجد العتيق بالقصر

(1) تقرير مكتب الدراسات، الأبعاد الثلاثة، لصاحبه ميهري، عن بلدية متليلي، الجزائر، 1995، ص: 5، (بتصرف).

(2) LE SAHARA ALGERIEN , Utude Géographiques , statistiques et historique , De, M :le lieutenant colonel daumas, Paris , p :308,309.

(3) إسماعيل عربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص: 164، 170.

القديم، فكانت سلسلة طيبة من الأئمة الفضلاء كالإمام «مولاي أحمد» والشيخ «مولاي لخضر بوشيحة» والشيخ «مولاي لخضر عبد السلام»، ثم «مولاي لخضر محمد» (1892 – 1986)، ثم الشيخ «الشريف بكار» (1915 – 2001)، الذي حفظ القرآن على يد الشيخ الطالب «محمد كديد» بمعية الشيخ «لخضر الدهمة»(1925)، الذي بدوره واصل دراسته بـ «الزيتونة» رفقة الشيخ « عبد السلام مولاي لخضر» (1926)، وهما ينشطان في عمارة المسجد العتيق حاليا.

كما حفلت متليلي. بمشائخ حفظة لكتاب الله تعالى وفقهاء أناروا دروب الناس بعلمهم وفقههم، وعلموا الناشئة عبر أزمان طويلة، من أمثال : بختي «الطالب محمد بن عبد العالي» (1876 – 1956) وبو كادي «الطلب امحمد» والذين أخد عنهما الشيخ «الشريف بكار» وعبد الباقي «الطالب بحوص» ومحجوب «الطالب دحمان» الموثق المعروف ب (سي دحمان) ومولاي براهيم «يس بن عبد الله»، و«الحاج محمد بوقلمونة» (1910 – 2008) الذي اهتزت لوفاته الجهة بأسرها لمساهمة الفعالة في حياة المنطقة وتطورها وكذا «بلوديان الحاج عبد الله» و«الحاج محمد بن خليفة»[1].

كما أن أهل البلدة كانوا يسترشدون بمشايخ عرفوا بالصلاح والتقوى من ضواحي المدينة مثل: «الصديقي الحاج أحمد بن أحمد»(1908–1914)، «الحاج أحمد بن بحوص» (1903–1997).

---

(1) لقاء مع الشيخ لخضر الدهمة بتاريخ: 24/ 03/ 2009، على الساعة: 08و 38 دقيقة.
* لم نتحصل على تواريخ بعض الأعلام، وما رصدناه فقد استقيناه من السيد: بامون نور الدين، مخطوط بصدد الانجاز، بعنوان: السجل الذهبي لمدينة متليلي، الذي تجاوز محتواه ثمانمئة علم من أعلام منطقة متليلي.

وأشهر حفظة القرآن الكريم وأمهرهم به في مطلع القرن الماضي، «الطالب محمد كديد»، وابن الذيبة «الطالب علي» و«الطالب السوسي».

أما في أيامنا فيتربع الشيخ الحاج لخضرالدهمة سنام شرف العلم والمعرفة، حيث ولد بمتليلي الشعانبة عاما 1925 وفيها نشأ وحفظ القرآن الكريم على يد الطالب محمد كديد، وتعلم مبادئ الفقه الإسلامي ثم انتقل إلى غرداية عام1942، لدراسة الفقه المالكي على يد الشيخ محمد لخضر الفيلالي، ثم استكمل دراسته بجامع الزيتونة في تونس حسب مقرر الشيخ الطاهر بن عاشور، من عام 1946 إلى عام 1950، ثم عاد إلى الجزائر منطلقا في التربية والتعليم والإصلاح بمدرسة حرة في عين بسام (ولاية البويرة) إلى عام 1957، بعد إغلاق السلطات الفرنسية للمدرسة، والأمر بالقبض على الشيخ، لجأ إلى مدينة غرداية ليواصل رسالته بمدرسة العرفان التابعة لمسجد حمزة مع بعض الزملاء في ظروف صعبة جدا؛ إلى أن تم وقف إطلاق النار.

وبعد الاستقلال التحق بالمدرسة الرسمية إلى جانب قيامه بمهام ثقافية واجتماعية وسياسية وقضائية إلى عام 1976، ثم انتقل إلى مدينة متليلي حيث تولى الاستشارة التربوية والنفسية مع الاشراف على ادارة مدرسة «ابن باديس» إلى أن تقاعد في مفتتح عام 1984.

ثم كلف من طرف وزير الشؤون الدينية بالتفتيش، إلا أنه طلب الاعفاء بعد سنتين لأسباب صحية ظرفية، ومايزال الى يومنا هذا يواصل التوجيه والارشاد وتفسير القرآن بمدينة متليلي وغرداية ومن مؤلفاته قطوف دانية، وأضواء على سورة الحجرات، ارشاد الضمآن إلى معاني القرآن[1].

(1) الشيخ لخضر الدهمة، إرشاد الصمآن إلى معاني قلب القرآن، المطبعة العربية، غرداية، 2005، خليفة غلاف الكتاب.

وتتنوع الحياة الثقافية لدى الشعانبة في مجال الاحتفالات، وتختص بطقوس مختلفة نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

**أ.المناسبات**: يحتفل سكان متليلي الشعانبة بالمولد النبوي الشريف، حيث تبدأ مظاهر الحتفال مع إهلال شهر ربيع الأول، الذي يسميه أهل المنطقة بشهر «سيدنا محمد» و«الميلود»، وتتجلى الاحتفالات فيه بإحياء الليالي بالمدائح والأهازيج، وإلقاء الدروس في السيرة النبوية؛ هذا فيما يخص الرجال، أما النساء؛ فيجتمعن دوريا كل ليلة في بيت من بيوت الجارات للمديح والسمر.

**ب.النشاطات الشعبية**: تزخر بلدية متليلي بفلكلورمتنوع، بين فرق تعزف القصبة، وأخرى تدق الطبول وتعزف بـ: ( الدّندون) وفرقة (التّزمارين)، واضافة إلى فرقة الحضرة لضرب الدفوف مادحين رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وكذا بعض الأولياء الصالحين.

كما تقام فيه الألعاب التقليدية كالقوس[1]. وتسلق النخيل، لعبة السّيق[2]، الخربقة[3]. والعاب الفروسية والبارود التي يطلقها عليه (العايدي).

كل هذا تجمعه بلدة متليلي في مهرجان سنوي؛ تتخلله أماسي شعرية، وسباقا للخيل والجمال، زد على ذلك معارضا وصالونات تدوم ثلاثة

(1) القوس: لعبة شعبية بين فريقين، الكرة فبها من قماش والمضارب من جريد النخيل.

(2) لسيق: لعبة شعبية بين فردين تستعمل فيه قطع متقايسة من جريد النخيل، تلعب بقواعد متعارف عليها.

(3) الخربقة: تشبه لعبة الشطرنج يلعبها فردان، ترسم برؤوس الأنامل على الرمل.

أيام بلياليها ؛ يدعى هذا الصالون بـ: (عيد المهري)، لما للمهري[1] من مكانة خاصة لدى المجتمع الشعباني.

ج) **الوعدات**: تعرف متليلي الشعانبة ببلاد الأربع والأربعين وليا صالحا، حيث يقيم لهم الشعانبة ولائم (وعدات)، فينحرون الجزور، ويبيتون في حلق الذكر وقراءة القرآن، ويجتمع الناس من كل أرجاء المدينة فيطعمون، ويختمون هذه الوعدات بالدعاء بالخير للبلاد والعباد.

د) **عادة تتويج العريس**: يتفرّد أهل متليلي الشعانبة في أعراسهم بهذه العادة، حيث يتوجّون العريس ليلة زفافه، فيلبسونه زيا عربيا أصيلا أبيض اللون، عبارة عن عباءة ( قندورة) وبرنوسا وسروالا تقليديا يسمى سروال العرب، والتّاج الذي يرمز إلى التّربّع على عرش مملكة أسرة جديدة، ويتقلّد سيفا رمزا للشجاعة والأصالة والذّود على الحمى، ذلك كله على أنغام وألحان قصيدة بردة البوصيري (1213م- 1296م).

وتجري هذه العادة أيضا على الصغار في الختان، تمسكا بالسنة الشريفة المطهرة، وكذا الصبيان حفظة كتاب الله تعالي، تكريما لقدرهم، واستنهاضا وتشجيعا للنشء على حفظ كتاب الله تعالى.

هـ) **الأعمال الجماعية**: تفرض طبيعة المنطقة على المجتمع الشعباني القيام بأعمال جماعية خاصة به، كمواسم تأبير النخيل، وجني التمور، والحصاد وغرس الفسائل، وبناء الدور، وجز الصوف، وحفر الآبار، وتكون تلك الأعمال مصحوبة بأهازيج تسهل أعمالهم وتطرب نفوسهم وتنشط أبدانهم.

(1) هو جمل مروض للركوب والسفر.

إن كل أفراح ومناسبات أهل منطقة متليلي الشعانبة لا تتم إلا والشعر الشعبي حاضرًا فيها ؛ على عكس احتفال شعبي (تقصيرة)، وذلك بالعزف على القصبة والغناء أو الحضرة[1]، أو الدندون.

## نشأة الزاوية البوشيخية (الشيخية) القادرية بمنطقة متليلي الشعانبة:

أنشأت على يد صديقي الشيخ بالبشير[2] سنة1883م وكانت في سكناه بجانب البلاد حتى سنة 1905م؛ حيث انتقل الى جوار ربه، وخلفه ابنه صديقي احمد[3] إلى غاية 1925م، لم تدم طويلا هذه الخلافة حتى انتقل الى جوار مولاه، وخلفه ابنه صديقي السهلي[4]؛ وكان عمره 11 سنة إلى غاية1937م، وهذه السنة سلم الخلافة إلى أخيه صديقي أحمد بن أحمد[5] وهذا بالرضى منه؛ من العرش، وفي ولاية هذا الأخير تم تأسيس أركان الزاوية، وتشييد معالمها من بنايات وأملاك ومرافق. ..آلخ.

وبعد وفاته سنة 1981م تم تفويض ابنه الأكبر الحاج أحمد صديقي[6]، وهذا بشهادة كثيرين من عرش الشعانبة؛ منهم من توفتهم المنية ومنهم من على قيد الحياة.

---

(1) هي حلقة للمدائح الدينية على إيقاع الدفوف.

(2) عاش حوالي 73سنة.

(3) عاش حوالي 63سنة.

(4) عاس ما يقارب 76 سنة.

(5) عاش ما يقارب 67سنة.

(6) ولد في 22/ 09/ 1944 بمتليلي الشعانبة، وهو ما يزال على قيد الحياة – أطال الله عمره–.

وتقع الزاوية البوشيخية القادرية في الناحية الغربية لبلدية متليلي الشعانبة بالمكان المسمى بـــ «شعبة سيدي الشيخ».

ومن العادات التي تقام في الزاوية ترديد الأذكار الخاصة بالطريقة من طرف المريدين، وكذا إقامة الولائم (المعاريف) الخاصة بشيخ الطريقة (سيدي الشيخ)، وفي كل ليلة اثنين وجمعة يقام بها الإطعام وقراءة القرآن والمدائح الدينية والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا طيلة أيام السنة.

كما تقام أيضا ندوات خاصة بالفكر الصوفي والتعرف عليه، كما أنها تسعى إلى جمع أكبر عدد من المخطوطات القديمة والأشعار والمدائح الخاصة بهذا الجانب والسهر على إعادة كتابتها في صياغة ملائمة، وكل هذه الجهود ما زالت تحتاج إلى دعم كبير.

كما أن للزاوية الشيخية بمتليلي عادات مثل (اللاَّمَّة)، وهي متمثلة في اجتماع المريدين من كل حدب وصوب، وتكون تحت اشراف شيخ الطريقة الساكن بالسخونة (ولاية سعيدة)، أو ينوب عنه شيخ الزاوية، وتقام في تلك الليلة أذكار وأدعية لحفظ الأمة المحمدية، والدولة الجزائرية من كل شر أو مكر أو خديعة من قريب أو بعيد... الخ وفيها يتم تزويد المريدين بنصائح وإرشادات لتذكيرهم على الالتزام بشروط الطريقة والمحافظة عليها.

وتتبع للزاوية بمتليلي عدة مرافق منها: مسجد قديم وميضأة، ومسكنين خاصين باستقبال الضيوف، مزودين بمرافق بسيطة تتلائم وإمكانيات الزاوية، ويُضم للزاوية بئر لجلب الماء، وقرابة02 هكتار من النخيل والأشجار المثمرة.

وتقدم الزاوية حاليا عدة نشاطات منها تقديم المساعدات لمحتاجين وكفالة اليتامى والمعوزين وعابري السبيل من إيواء وأكل وشرب.

وقد تم فتح قسم لمحو الأمية للنساء؛ وآخر لتعليم القرآن الكريم.

كما تمّ فتح قسم لتعليم الخياطة والمتكون من ثلاثة أفواج؛ وهذا الأخير كلفها كراء محل خارج أملاكها.

كما تشارك الزاوية في الأعياد الوطنية والدينية، وكذا المشاركة في الندوات والتظاهرات المحلية والوطنية.

أما عن الأوراد التي تردد في الطريقة الشيخية بمتليلي؛ فهناك الورد القادري الذي يردد مرتين في اليوم؛ وتحديدا بعد صلاتي العصر والمغرب، ويردد فيه مايلي:

- الفاتحة 03 مرات.
- سورة الإخلاص 03 مرات.
- لبيك اللهم لبك لا شريك لك لبيك 03 مرات.
- بسم الله الرحمان الرحيم 100 مرة.
- لاإله إلا الله (بترديد بطيء ومتأني) 100 مرة.
- الله (بالمد) 100 مرة.
- أستغفر اله العظيم الحي القيوم وأتوب إليه 100 مرة.
- يالطيف يا لطيف 129 مرة.

ثم يختم المورد بما شاء له ولإخوانه ولمن سأله الدعاء له، ولوطنه... ويشترط أن يكون المورد على طهارة أثناء قراءة الأوراد.

أما الورد الثاني فهو الورد البوشخي؛ وهو يردد 05 أوقات في اليوم؛ أي عقب كل صلاة مفروضة، ويردد فيه مايلي:

- سورة الفاتحة 03 مرات.
- سورة النصر 03 مرات.
- لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك 03 مرات.
- أستغفر الله العظيم الحي القيوم وأتوب اليه 100 مرة.
- لا إله إلا الله المالك الحق المبين 100 مرة.
- اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه 100 مرة.
- بسم الله الرحمن الرحيم 100 مرة. يالطيف 129 مرة.
- حسبي الله ونعم الوكيل 10 مرات.

وتشترط أيضا الطهارة أثناء ترديد هذا الورد.

كما أنه لا ينبغي للمريد أن يقطع الذكر ثلاثة أيام متعمدا، وإن حصل منه ذلك فعليه أن يتقرب من مقدم الطريقة لتجديد العهد مرة أخرى.

هذا عن الأوراد التي تردد في الطريقة الشيخية بمتليلي؛ أما عن الأذكار فهي كثيرة جدا لعل أولها هي قصيدة "الياقوتة" للقطب سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان، وتردد عدة قصائد أخرى في المديح النبوي لعدة شعراء.

كما توجد في حرم الزاوية البوشيخية بمتليلي الشعانبة ما تسمى بـــ: «العفسة»[1] وهي إحدى كرامات القطب سيدي عبد القادر، فهي كما

(1) انظر الملحق 02 بهذا البحث.

روى لنا مقدم الطريقة الشيخ صديقي أحمد – أطال الله عمره – أنها تعود إلى أكثر من 04 قرون و50عاما، وسببها أن سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد طلب من الشعانبة ( سكان متليلي) مساعدته في حربه ضد الأسبان، وطلب منهم إعانة الزاوية، فقبلوا وأرادوا أن يضعوا بينهم وبينه عهدا على ما اتفقوا عليه؛ وأن يكون مرسوما مكتوبا في ورق يقومون بحفظه؛ لكنه رفض لأن الورق يتلف بحرق أو تمزيق، ويضيع الورق ومعه الاتفاق المبرم بينه وبين الشعانبة، وآثر الشيخ أن يكون الحجر هو الوثيقة التي تشهد على الاتفاق، فبقدرة الله تحولت الحجر إلى طينة ووضع بصمة قدم ( الحافر) فرسه؛ وغرس عصاه في الحجر فكان ثقب صغير لأثر العصا وشكل قدم الفرس لكن بكل خفة لأنها ثقيلة والمفروض أن تغوص قدمها في الطين لكن سبحان الله ليس إلا بصمة كتوقيع رسمي لما عاهدوه علي.

ولقد تحدث شاعر متليلي الفذ قدور بلخضر بيتور[1] تحدث عن أبناء سيدي الشيخ، وخلد مآثرهم، في عدة قصائد له؛ مثل قصيدة «راني حاير سوال»[2]، يتناول فيها الشاعر قدور بلخضر بيتور موضوع مدح أولاد سيدي الشيخ، فيسترسل في ذكر مناقبهم وخصالهم، ويبكي الأيام

(1) ولد الشاعر قدور بلخضر بن يعيش بيتور، بمتليلي الشعانبة عام 1860، من أسرة ميسورة الحال، من عرش(قبيلة) أولاد عبد القادر فرقة لقمارى، أبو لخضر، وأمه الشقيرية، كان دمث الخلق، حاضر النكتة، ضعيف الجسم، قصير القامة، ورعا تقيا يخاف الله تعالى، إلتحق بمدرسة قرآنية ( كتاب) بمتليلي كشأن كل الأطفال في المراحل الأولى من حياتهم، فحسب أقوال الذين سألناهم أنه حفظ القرآن حميعه في سن مبكرة، والبعض الآخر يقول أنه أتى على جزء منه فقط، وبعد أن أخذ حظه من القرآن الكريم، تعداه إلى بعض العلوم الفقهية والإسلامية، وهو ما كان متاحا في ذلك الوقت، وافته المنية بمتليلي عام 1921.

(2) القصيدة مثبتة كاملة في نهاية هذا البث في الملحق3.

السعيدة، والشجعان من أمثال: «سي الدّين» و«سي قدور» «سي حمزة» فيستهل قصيدته قائلا:

«رَانِي حَايِرْ سَوَال وين ذُوكْ إرْجَالْ والقَلْـــبْ إكْثَـــرْ تْشَقَابُـــو
زَيْنِينْ العَلْـــفَا قَابُـــــو

راني حاير سوال حالتي لا اتسال وبكايا من لنجال ساخفين ادموع
عني قابو لبطال وين ذوك لشبال ويلا عاد الزلزال يخرجو كي سبوع
ذاك العقد المنصور هْرسو كل صور دمارين الكفْرة قالب القالبين
الدين أو سي قدور يخرجوا كطيور سيدي حمزة مذكور عللعرب فايزين
واهل البركا ونور عز للي إيزور واهل الراي المجبور واهل دنيا او دين»[1]

وفي صف أولاد سيدي الشيخ ينقل الشاعر إلينا صورة صادقة؛ فرسانا أشداء على الأعداء يخوضون المعارك غير هيابين كما تخوض السفن عباب البحر ممتطين صهوات جيادهم المزينة بأجمل السروج والمرصعة بالذهب البراق دلالة على عزتهم ورفعة مكانتهم:

**«رَكْبُو عِلَخَيْلْ إذْكُورْ جَرْبِيهِمْ بِالعْبُورْ**
**كُلَ إمْلَجَمْ بَابُورْ فِلْبَحَرْ عَايِمِينْ**
**وَالْـعَـة بِالمَظْفُورْ وسْـــرُوجْ انْقُورْ**
**أُو رَكْبَاتْ أُو لَشْبُورْ بالذهب ضَاوِيِينْ»**[2]

وفي كرم أولاد سيدي الشيخ وحسن ضيافتهم واتساع خيمتهم وعنايهم بإقراء ضيوفهم يقول:

(1) مكتبة زيطة محمد، وثيقة مكتوبة.

(2) نفسها.

«وَأَهْلُ الطْبَاصَا بِخْطُوطُ واجْدَة لِلْحْطُوطْ
كُـلْ امْلَجَمْ بَابُورْ فِلْبْحَرْ عَايِمِينْ
وأَهْل الصَّفَر كُلْ اَرَهُوطْ عَلَى طَوَابِلْ احْطُوطْ
وأَهْلُ لَحْرَمْ كُلْ شْرُوطْ لِشْواهْ وَاجْدِينْ
وأَهْلْ امْطَارِحْ بِبْسُوطْ طَلَعْهُمْ والهْبُوطْ
وأَهْلْ لَقْوَاطِينْ اشْيُوطْ دَايْم مِبْنِيِيْنِ»[1]

ويختم الشاعر قصيدته بالتوقيع عليها:

«بِلَخْضَرْ ذَا القِيوَان ناظم بلْسَانْ
والقَوْلْ عَلَى الفُرسَانْ مالَهُم اقْرِيْن»[2]

**ملحق3 – قصيدة « راني حاير سوال متليلي**
**قدور بلخصر بيتور.**

| | |
|---|---|
| راني حاير سوال وين دوك ارجال | والقلب اكثر تشقابو زينينا لعفا قابو |
| راني حاير سوال حالتي لا تسال | وبكايا من لنجال ساخفين ادموع |
| عني قابو لبطال وين ذوك اشبال | ويلا عاد ازلزال يخرجوا كي سبوع |
| بعدة ومرات اطوال جاو شق اجبال | والقيم منين كحال بعد بنجوع |
| و عليهم لاح صواب | |
| ترضى ليا مدوب من سيترتا ريال | يـد السيـــــر وتقلابـــــــو |

(1) نفسها.

(2) نفسها.

ذاك العقد المنصورهو سر كل صور دمارين الكفرة قالب القالبين
الدين او سي قدور يخرجو كطيور سيدي حمزة مذكورا على العرب فايزين
واهل البركا ونور عز للي يزور واهل الراي المجبور وهل دنيا او دين

واهل السيف وتلهابو

واهل اتوانس بالقد يضربو بمكاحل كل يسير بعدابو
و العدة بلمظفور وسروج انفور وركبات او لشبور بالذهب ضاوين
وسطاير خط اسطور يشعلو كلقمور وطرح نعمان اسحور كلهم خارجين

من عنهم دار عذاب

باللولب بسرج جديد كامل على بطال قداش من الف حساب
و سلاح ايشعل ليد ماضيين لحديد يصهد لعراش اصهيد من بلاهم اتحير
واهل القفطان جديد واهل قاط الكريد واهل ذهب فتقليد وتماف العجير
واهل الحربافي ليد واهل ملف الوجيد واهل الحياك اجريد كاملا بلحرير

واهل حوالا يرطاب

تقصير الجليد نزيل على عراض طوال زرات الدابح رواب
ولطراف مصاهيد عندهم للعبيد يتولا اوه اطرار يدفي انهار انفير

يلزمو قرده افريد عقدهم كي يزيد هند امرهج وحديد فات سم الذكير
يقصب لمح اتتميد تسمع من بعيد نجي قوم التنشيد بالذهب ولحرير

واهل مسفر واحراب

اعدوهم ما يهنا ولا ايجيه الرقاد منهم يمرار شرابو
واهل سلاح التريف والقرآن السعيف واهل مجاود نظيف خف برق انشير

برازين الخفيف في انواض السعيف يدي حاف التكليف يصب اللي اطير
وسط السلاح نظيف نعت شمس لمصيف ولـــي خـــرج مـــن الـــملا يتبره

شقل القد واتركابو

واهل سلاق النشطة مقديا علدلال حـــقـــد الـــريـــم قـــصـــاب
اهل جحاف التحليف ولغلاف الرهيف وقرامز بالتغليف طابعين لوسير
ليك سباق على كيف علتماد الرعيف نعمان عشب عطيف من خرزهم يحير
في لنو بالتوصيف ما نسميه كليف كـــل مهجيج قايد بين البعير

وعداوي في تعصاب

اهل فرشات مخبلة ومعادر قدال حـــط حـــريـــر وتـــركـــابـــو
يوم انرحلو خطار نجعلهم فرق طار ولا يحط الجيار في مهاقع السبيل
ابصح نوض قبار كي غمام الكدار بمزون وغيت حجار راح ننجر عليل
سبايك بن نوار في ربيع الخلطة نجمع ترايت بكار مالهم قرين

و النصر من الله جابو

خيام طول عقور في بلاد السحور حط مساحب ديور في زمان المسيف
حـــارس اظـــل ادور علدهور كل محرر مديور لنواض لخفيف
اهل العقد المجبور في معادر مشور في قرب الليل يدور جاه وان لعليف

كـــل حصان بنوابر

حسن تصليل القوم رهب اللي ذلال يـــوم أن تـــحـــرك بـــعـــدابـــو
واهل اطباصا بخطوط واجده للحطوط بقطا تلحيف الفوط يمسح عاليدين
واهل اسفر كل رهوط علطوا بل احطوط واهل احرام كل شروط لشواه واجدين
واهل امطارح ببسوط طلعهم والهبوط واهل اقواطين اشيوط دايم مبنيين

**الكل مفرش بجنابو**

**واهل الكيسان امعره الحط قبال اتـــــاي وقـــــت اطـيـابـو**
**وا هل الفرفور اجديد ايغيرو مس ليد أو فوق اسنيوات انقيد بلعبر ولوزين**
**واهل مكاحل تفريد ايشعلو من بعيد وعوهم زاد الكيد بات حالوا حزين**
**في كل انهار العيد يخرجو في اجديد وطيرو نقار اصيد بشناو العين**

**شقل الحال وتعجابو**

**طاع لبوهم حوت لبحور ونطق كسال وعـــبـــد حـــجـــر وتـــرابـــو**
**يـوم انـــزار لامير بلحسان لكبير بحساب اميات بعير بذهب والختريز**
**تسمع حسن اطنابير والزقا وانفير والعقد ايدير ازهير دمر الحاسدين**
**وتفرج واش ايصير من اخزيرهم ايحير بلعلفا وتعمير من اجعب ضاوين**

**يقلبهم باللي جابو**

**واللي قاصد في الشيخ حاجب مايسال مـــول الـــفـــرعـــا واقـــبـــابـــو**
**طاعة من ربع اركان للبحر وين كان بالبركا والبرهان والنصر ضاوين**
**كـــل مـــخـــتـــر صـــايـــن الـــزمـــان دمارين العديان قلب القالب لقالبين**
**بلخضر ذي القيوان ناظم بالسان قـــوال على فرسان مالهم قرين**

**النصر من الله جاب**

**اللي ماضناهم علاه تضنى بحال ســـيـــدي حـــمـــزة واصـــحـــابـــو**

**قارب فرساني قارب.**

# الياقوتة

تأليف الشيخ عبد القادر بن محمد(سيدي الشيخ)

بدأت بِحَمْدِ الله قَصْداً لنَجْحِ ما ... أروم من اسْتفتاح نظمِ القصيدةِ
وأُهدي صلاةً ثم أزكى تحيةٍ ... على المُجتبَى الهادي شفيع البريئةِ
صلاةً وتسليمًا كثيرًا مجددًا ... إحاطَة علمِ اللهِ في كل لحظةِ
وبعدُ فَفَضْلُ اللّه يُؤتيهِ مِنْ يَشَا ... بمَحْضِ تفضلٍ ومَنٍّ ورحمةِ
ومَهْمَا اجْتبَى عبداً سعيدًا لقرُبهِ ... تَخَيَّرَهُ وَذَاكَ لَيْسَ لعِلَةِ
ويَمْنَعُ مَنْ يشاءُ جَلَّ بعَدْلِهِ ... ويَحْرمُ فيْضَ الفَضْلِ مِنْ غَيْرِ قِلَةِ
وَلَمَا رَأَيْتُ القَوْمَ جَدوا في سَيْرِهم ... إلى المَقصَدِ الأَسْنَى بصِدْقِ العَزيمَةِ
جَرَتْ للتأسِّي نَفْسِي ثُمَّ تَعَلقَتْ ... بأذْيَالِ أَرْبَابِ النّفُوسِ الأبيّةِ
وحَامَتْ عَلَى حِماهُمُ ثُمَّ خيَّمَتْ ... مُعَرَّسَهم فزاحَمَتْهُم لِشِرْكَةِ
وَلَمَّا تفاوَضنا المشورَةَ بَيْننا ... بَرَمْنا عقوداً بالعُهُودِ الوثيقةِ
تبايَعْنا بَيْعَ البَتِّ لَيْسَ كبَيْعِ مَنْ ... يَرى البَخْسَ ثم ينثني بالإقالةِ
فَصِرنا وَصَاروا حِلْف صِدقٍ وَوُدُّنا ... وِدادَ النهَى ذوي الصُّدُورِ السَلِيمَةِ
وبَعْدَ تَعَاطِينَا المَوَائِدَ نَبْتَغي ... فُنُونَ العُلُوم يَا لَهَا مِنْ عَطيَّةِ
فَلَمَا أديرَتِ الأَبَارِيقُ بَيْنَنَا ... مِن الشَّوْقِ تَتْلوَهَا كؤوسُ المَحَبَةِ

وَنَحْنُ نَشاوىَ نَلْتقِي شُرْبَ خَمْرِها بِكِلْتَا اليَدَيْن فِي الأَوانِي المُعَدَّةِ
وَحِينَ انْتَهَىَ بِنَا الشَّرَابُ عَلَى الذِي قَضَاهُ لَنَا الرَّحْمَنُ وفقَ المَشِيئَةِ
سَكِرْنَا وهِمْنا بالشّرَابِ فبَيْنَمَا أَنَا بَيْنَ حَالَيْ غَيْبَةٍ وإِفَاقَةِ
دُعِيتُ هَلمَّ فاسْتَمَعْتُ دُعَاءَهُ فَلَبَيْتَهُ إِذَنْ بحُسْنِ الإِجَابَةِ
وأَدْنَانِي مِنْهُ إِذْ فَهِمْتُ مُرادَهُ وَغَابَ مُرَادي كُلُهُ فِي الإِرَادَةِ
وأشهَدَني عَوَالِمَ الخَلْقِ كُلُهَا وَخيَّرني فَاخْتَرْتُهُ دُونَ مرَية
فَلَمَا رَأى رِضَائِي لَيْسَ بِدُونِهِ كَسَانِي رِدَاءَ قُرْبِهِ والخِلافَةِ
فنَيْتُ فلمْ يُغْنِ الفَناءُ عَن بَقَائِنَا ولَيْسَ البَقاءُ حَاجِباً عَن فِنَايةِ
ولاَ الفَرقُ أَيْضا حاجِبٌ لاجْتماعِنا ولا الجَمْع لِي عَنْ ذَاكَ جَاءَ بِعَكْسَةِ
فغِبْتُ عَنِ الأَكْوَانِ طُراً بِأَسْرِها وشَاهِدُتُ رَبَّنَا بعَيْنِ البصيرَةِ
ومُنْذُ عَرَفتُ الحَقَ غِبْتُ عَن السِّوَى ولَمْ تَطِبِ النُفُوسُ إلاّ بِرُؤيةِ
ومَهْمَا نَظْرتُ كَائِنَا مَا بُعَيْد مَا عَرَفْتُهُ لَم أَعِرْهُ مِني بِلمْحَةِ
رَقَيتُ فَمَا الذِي يَفُوقُ مَقَامَنَا سِوى السَّلَفِ الأَخْيارِ أَهْلُ الوِلاَيَةِ
كَذَا صَحْبُ خَيْرُ الخَلْقِ فَازوا برُؤيةٍ تقاعَسَ عَنْهَا الغَيْرُ مِنْ دُونِ مِريةِ
وعايَنْتُ مَا لَوْ عَايَنُ الغَيْرُ جَزَءَهُ لَذَابَ وَطَاشَ مَالَهُ مِن قَرِيحَةِ
وحمَّلْتُ نفسي مَالوْ مِعْشَارُه على عِنانِ الجِبَال الرّاسِيَاتِ لدُكَّتِ
ولَوْلاَ فَشوُ السِّرِ كُفْرٌ بِعَيْنِهِ لَبُحْتُ بِهِ وَلَكِنْ أَوْلىَ التَصَمُتِ
وَلَكِنَنِي أُغْضي حَياءً وأَقْتَفِي سَبِيلَ ذَوِي النُّهَى فِي صَوْنِ السَّرِيرةِ
سَلَكْتُ طَرِيقًا لَم يَطَأْهَا خِلاَفُنا ولم يسْلكْها غيرُنا من خليفة
سِوى سلَفٍ لَنَا قَفَوْنا آثارَهُمْ وهُمْ قُدوَتي من الشُّيوُخِ الأَجِلَّةِ
وَلَوْ شِئْتَ قَوْلَ كُنْ لَكَانَ الذِي أَنَا أَقُولُ وَيَجْرِي الأَمْرُ وِفْقَ الإِرَادَةِ

وَلَكِنَ جِلْبَابَ الحَيَا وَتَأَدُبِي مَعَ اللّهِ يَحْجُبَانِ تِلْكَ المَقَالَةِ
ورَدْت بُحورَ الحُب فازْدَادَ صَحْوَهَا وغِبْتُ فَزَادَ الغَيْبُ صَفْوًا لحَضْرَةِ
فَلَمَا عَرَفْتُ وَصْفِي وامتَاز وصفُهُ وَأَجْلَسَنِي بِبَابِ صِدْقِ العُبودةِ
بَذَلْتُ لَهُ نَفْسِي بجدٍّ وقَال لِي رُوَيْدَكَ خُذ مقامَ عِزٍّ ورِفعةِ
فَفَاضَ عليَّ جُودُه مُتَوافِرًا وَمَنَّ وَوَلانِي لِواءَ الولايةِ
ومَا مِنْ مَقَام شِئْتُ فيه إِقَامَةً إِلاَّ وَهَاتِفُ النِّدَا بالحَقِيقَةِ
تُنادِي هَلُمَ فاخْلَعِ النَّعْلَ وَأدخلَنْ لَكِ الحُكْمُ أَوْ بِكَ المَكَارِمُ حُفَّتِ
حَوَيْتُ لَكمُ وَكَمْ مَراتِبَ حُزتُها ولاَ أَنِسَتْ بِدُونِ غَيْرِه هِمَةِ
فَكَمْ آيةٍ رأيتُها في ارْتِقَائِهَا وَلَمْ تُغْنِنِي عَنْ دُونِهِ كُلُّ آيةِ
حَفِظْتُ عُلُومًا لَمْ يَسَعْها سَمَاؤُهَا وَلَمْ يَبْلُغْ اِنْتِهَاهَا أَهْلُ الإِشَارَةِ
فعَمَّتْ وخَصَّتْ فِي الأَنَامِ مَنَارُهَا وَفِي حَضْرَةِ كَمَالِهِ مُسْتَمِرَةِ
سَرَى سَرَياناً سِرُّنا في السَّرَائِرِ وَلَمْ يُدرَكنَ بالأفْهَامِ المُعِدَةِ
فَلَيْسَ سِوَانا بَعْدَنا بمُعبِّرَ عَنْ الحَضْرَةِ العُلْيَا بِأَحْلَى عِبَارَةِ
بعِزتِه أَقْسَمْتُ ثَمَّ جَلالَهَ لَمَا طَابَ وَقْتُ القَوْمِ إلاّ بِبَيعَةِ
وأيُّ وُصُولٍ كَانَ مِنْ غَيْرِ بَابِنَا وَأَيُ دُخُولٍ مِنْهُ دُونَ إِشَارَةِ
وَمَنْ يَسْتَغِثْ بِنَا اضْطِرَارًا لِغَوثِنا يُغاثُ ولَوْ بِقَعْرِ بَحرٍ وَظُلْمَةِ
وَمُسْتَنشِدٌ بإسْمِي لِكَشْفِ مُلِمَّة سَأَدْرِكُهُ وَلَوْ بِبُعْدِ المَسَافَةِ
فَيَا أَهْلَ عَصْرِنَا أَجِيبُوا دُعَاءَنَا فَإِننَا نَدْعُو لِلْهُدَى عَنْ بَصِيرَةِ
أُحَذِرَكُمْ بِمَا النَّبِي قَدْ أَتَى بِهِ وَأُخْبِرُكُمْ بِمَا أَتَى مِنْ بِشَارَةِ
وَلَسْتُ بِمُدَعِي الرِّسَالَةِ غَيرَ مَا تَحَصّل لِي مِن إرثِ عِلمٍ وحِكْمَةٍ
فَيَا عَجَبًا لِعَاطِشٍ بِإِزَائِهِ بُحورٌ مياهُهَا شَرَابُ المَوَدَةِ

فَدَوَنَكْ فَاشْرِبْ وَارْتَوِ من بُحُورِنَا فَلَهَا شِفَاءٌ مِنْ الأَهْواءِ المُضِلَةِ
وَأَيُ طَبِيبٍ لِلْقُلُوبِ مِنَ العَمَى أَطَبُّ مِنْ الذِكْرِ القَوِي الإِشَارَةِ
وأَيُ مُعِدٍ للذُنُوبِ وَمَحْوِهَا أَشَدُ مِنْ اسم ذي الصفات الجليلة
ومَا الحَجُ والجِهَادُ مِنْ غَيْرِ فَرْضِنَا بِأَفْضَلَ مِنْ ذِكْرِ الأَسْمَاءِ العَظِيمَةِ
بَلْ الذِّكْرُ أَقْوَى ثُمَّ أَوْلَى لاَ سِيَمَا إِذَا اسْتَشْعَرَ القَلْبُ النُعُوتَ الحَمِيدَةِ
بِذَا صَدَعَ المُخْتَارُ أَعْنِي نَبِيَّنَا وصَحَّ بِالنَقلِ فِي الآثَارِ الصَحِيحَة
وأيُّ سُلُوكٍ كَاملٍ دُونَ صُحْبَةٍ وَأَيُ اهْتداءٍ شامِلٍ دُونَ مِنْحَةِ
وَأَيُ طَرِيقٍ رَاشِدٍ غَيرَ رُشْدِنَا وأَيُ اهْتِمَامِ الوقْتِ مِنْ غَيْرِ هِمَةِ
فصَدِّق فإن الصِّدْقَ أَرْفَعُ رُتْبَةٍ لِمَنْ يَبْتَغِي الوُصُولَ فَاحْفَظِ مَقَالَةِ
لَقَدْ شَهِدَ المَوْلَى بِأَنِي نَصِيحُكُمْ وَأَنِي عَلَى نُصْحٍ جَدِيرٍ بِخِبْرَةِ
فَوَا أَسَفًا لِتَارِكِ حَبْلَ عَهْدِنَا عَمِيَ وصَمَ وارْتَدَ بِالقَطِيعَةِ
ويَا خَيْبَةَ المَشْغُولِ عَنَا بِلَهْوِهِ وَأَضْحَى بَعِيداً سَرِيعَ النَدَامَةِ
ويَا حَسْرَةَ الذِينَ آنَوْا بِبُعْدِنَا إِلى أَنْ تَجَرَعُوا كُؤُوسَ المَنِيَّةِ
سَيَسْقُطُ فِي أَيْدِي الخَوالِقِ بَعْدَنَا لِمَا فَرَّطُوا فِي أَخْذِهِمُ لِلطَرِيقَةِ
ومَا أَقْبَحَ التَسْوِيفَ عَنْ قُرْبِ بَابِنَا ومَا أَحْسَنَ التَشْمِيرَ قَبْلَ الإِفَاقَةِ
فَإِنِي لَبَطَالُ يَظِلُ مثبَّطا حَلِيفَ الكَرَى غِرّا بَطِيءُ الإِقَامَةِ
يَنَالُ مَقَامَ القَوْمِ أَو يَدركُ المُنَى وَيفْهَمُ عَنْهُمُ وَهُوَ صَاحِبُ سَكْرَةٍ
أَمْ كَيْفَ رِضَاءُ اللّهِ يُدْرِكُهُ الذِي يُسَاخِطُ رَبَّهُ ويُرْضِي الخَلِيقَةِ
أَمْ كَيْفَ لِمُغْتَابِ الوَرَى ذِي نَمِيمَةٍ يَمُوتُ شَهِيدًا أَو عَلَى خَيْرِ مِلَةِ
أَمْ كَيْفَ لِمُسْرِفِ الطَعَامِ وَشُرْبِهِ يَذُوقُ مَذَاقًا أَو يَفُوزُ بِشَمَّةِ
كَذَا مِنْ عُرِفَ بالفُسُوقِ ونَحْوِهَا يُجَازَى بِفِعْلِهِ القَبِيحَ وَلَعْنَةِ

فَلَمْ يَمْتَثِلْ أَمراً وَلَمْ يَجْتَنِبْ نَهْيًا ... وَلَمْ يَذْكُرْ المَوْلَى خَبيثَ السَرِيرَةِ
حَرِيصٌ عَلى دُنْيَاهُ لاهٍ مُكْثِرٍ ... مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ ذُو عِتْلَةِ
فَكَيْفَ يَكُونُ لِلْعُلُومِ مُنَاسِبًا ... أَخُو الكَسَلِ والتّفْرِيطِ فِي خَيْرِ خُلَةِ
إذا مَا امتَطَى القَوْمِ الدُّجَى للتَهَجُدِ ... وحَازُوا مَقَامَ قُرْبِهِ بالمَزِيَةِ
بِمَقْعَدِ صِدْقٍ فَازُوا والرُتَبِ العُلَى ... وأَسْمَى فَرَادِيسَ الجِنَانِ الرَفِيعَةِ
فَأَعْلَى مَقَامَ العَارِفِينَ بِرَبِهِمْ ... رِضْوَانُ الإِلَهِ ثُمَ زَائِدُ نَظْرَةِ
وَذَلِكَ كُلَهُ بِفَضْلِ إِلَهِنا ... يُنَالُ بِمَنٍّ لاَ بِكَدٍ وَحِيلَةِ
وأَمَا أَسِيرُ ذَنْبِهِ يَوْمَ حَشْرِهِ ... فَهَالِكٌ إِنْ لَمْ يُنَجِيَنَهُ بِرَحْمَةِ
دَعَوتُ إِلى بَابِ الكَرِيمِ عِبادَهُ ... دُعَاءُ مَأْذُونٍ لَمْ يَزَلُ عَنْ بَصِيرَةِ
وَقَدْ جَاءَ وَلْتَكُنْ بِمُحْكَمِ ذِكْرُهُ ... إِلَى المُفْلِحِينَ أَيْنَ أَهْلُ الإِجَابَةِ
فَكُنْ مُقْتَدِي بِنَا وَثِقْ بِكَلاَمِنَا ... وجِـــدَّ بِسَيْرِنَا تَـفُـــــزْ بِالْمَوَدَةِ
فَإِنَنِي عَبْدُ القَادِرِ بِنُ مُحَمَدٍ ... سَلِيلُ أَبِي الرَبِيعِ نَجْلُ السَمَاحَةِ
ولاَ فَخْرَ غَيْرَ أَنِي عَبْدٌ لِقَادِرٍ ... وَأَحْمَدُ تَاجُ الرُّسُلْ أَقْوَى وسِيلَةِ
بِالإِتِبَاعِ نِلْنَا المَرَاتِبَ والعُلَى ... فَبِاللّهِ مَا حِدْنَا عَنْ شَرْعٍ وَسُنَةِ
وَمُنْذُ عَقِلْنَا سَدَّدَ اللَّهُ سَعْيَنَا ... ومَا زِلْنَا مُقْتَفِينَ نَهْجَ الشَرِيعَةِ
ولاَ تَسْمِعَنَ قَوْلَ عادٍ مُعانِدٍ ... حَسُودٍ لِفَضْلِ اللَّهِ بَادِي التَعَنُتَ
ومَنْ يَنْسَبْنَ إِلَيْنَا غَيْرَ مَقُولَتِنَا ... تُصِبْهُ بِحَوْلِ اللَّهِ أَكْبَرُ عِلَةِ
وَمَوْتٌ عَلَى خِلاَفِ دِينِ مُحَمَدٍ ... وَيَبْتَلِيهِ المَّولَى بِفَقْرٍ وَقِلَةِ
وَبَطْشٍ وَشِدَةٍ انْتِقَامٌ وَذِلَةٌ ... وَيَرْدِعْهُ رَدْعًا سَرِيعُ الإِجَابَةِ
بِلَعْنِ الإِلَهَ بَاءَ مَن رَمَى نسْبَنا ... عِناداً إِلى فِعْلِ نَكِيرٍ وبِدْعَةِ
كَذَاكَ الذِي يَرْمِي كَرِيمَ جَنَابِنَا ... ويَنْسِبُ قَدْرُنَا لأَقْبَحِ سَيْرَةِ

فَكَيْفَ وَبِاسْمِ الحَقِ نَهجُ طَرِيقنا يَعُودُ إِلَى ضَلَالِ أَهْلِ الدَنَاءَةِ
بِـــدَايَـــتُـهَا للغَـــافِلِيـــنَ بتَـوْيةٍ وَأَشْـــرَاطها مَحْصُورَة بالتثبُتِ
ونَصحٌ لِدِينِ اللَّهِ ثُمَ رَسُولِهِ وخَاصَتِهِ وَالمُؤْمِنِينَ بجُمْلَةِ
وتَطيِيبُ لَقمَةٍ وَتُعَظيمُ حُرْمَة وشُكْرٌ لِنِعْمَةٍ وَرفْعٌ لِهِمَةٍ
قَواعِدُهَا شَوْقٌ وَعَيْنٌ يَقِينُهَا مَحَبَة جَدِ السير دَأباً لحَضرةِ
وكفُّ الأذَى وَحَمْلُهُ وتَصَبُّرٌ ولاَ تُهَمِلِ الرِضَى بِأَدْهَى المُصِيبَةِ
وزُهْدٌ وَتَسْلِيمٌ وعَفوٌ وَعِفَةٌ وَتَفْوِيضُ أَمْرٍ والشُهُودُ لِمِنَّةِ
وَجِدٌ قَوِيّ واجتِهَادَ مُوافِقٌ وَصَوْمٌ وَسَهْرٌ ثُمَ صَمْتٍ وعُزلَةِ
وَحُزْنٌ وَدَمْعٌ سَاكِبٌ مَعَ لَوْعَةٍ وَشَغَفَ قُلُوبِ الوالِهِينَ بزَفرةِ
نِهَايَتُهَا شَمُ وَذَوْقُ وشُربُهَا بِهِ رَيُّ خمْرٍ ثُمَ سُكرٌ بِغَبَةِ
وَأَمْطَارُهَا فِكْرَ وذِكْرَ وَعِبْرَةٌ وَمَحْوِ ذَواتِهِمَ لِلْذَاتِ العَظِيمَةِ
وَمِنْ بَعْدِ غَيْمٍ جَاءَ صَحْو سَمَائِهَا بِإِشْرَاقِ شَمْسٍ بِالمَعَارِفِ جُمَّتِ
فَجَذَبَ لَهُ عَزْمَ انْتِهَاءِ دُونَ حَاجِبِ إِلى حَضْرَةِ القُدُوسِ زُجَّ بِسُرْعَةِ
وَحَالُ لَهَا حَوَى الأصولَ بِأَسْرِهَا طَرِيقَةُ أَسْلاَفٍ بَيْضَاءَ نَقِيَةِ
فَهَذِي فُصُولَهَا وَشَرْطُ كَمَالِهَا مَنُوطٌ بِعِلْمٍ ثم حِلمٍ وحِكمَةِ
لَهَا الجَمْعَ جَمْعُ الجَمْعِ جَمَعَ اتِحَادِهَا أُصُولٌ لَهَا شُهُودٌ فِي كُلِ لَمْحَةِ
فَأَوَلُهَا ولِـــيٌ ثُـــمَ نَقِيبُـــها نَجِيبٌ كَذَا الأَبْدَالُ فَاقُوا بِرُتْبَةِ
عِمَادُهُمَ الأَخْيارُ أَوتَادُهُم حَبُوا بِخَاصِّيَةِ المَوْلَى هُمْ أَهْلُ الخَصَاصَةِ
وَغُوْثٌ استِغَاثُ ثُمَ جِرْسُ عُلُومِهَا فَقُطْبٌ لَهُ أَعْلَى مَقَامِ الولاَيَةِ
فَشَيْخُ الشّيُوخِ ذَاك شَيْخُ زَمَانِنَا إِلَيهِ انتَهَتْ فُنُونَ هَذِي الطَرِيقَةِ
فَمِنْ شَيْخِنَا عَنْ شَيْخِهِ عَنْ شُيُوخِهِ تَسَلْسَلَتِ الأَشْياخُ أَهْلُ العِنَايَةِ

كَذَا نَسُبَةُ الأَبْرَارِ وَصَفْوَةِ المَلاَ ... لَهَا شَرفٌ يُنمَى لِعِزٍّ وَرِفْعَةِ
فَمِنْ قُدْوَةٍ عَلاَ إلى نَخْبَةٍ سَمَا ... وَمِنَ صَفْوَةٍ رَقَى لِأَسْمَى الخُلاَصَةِ
وَتِلْكُمْ مِنْ بَحْرِ النُبُوءَةِ أُنْشِئَتْ ... وَمِنْهُ اِسْتَمَدَتْ الفُحُولَ الدِرَايَةِ
عَلَيْكَ بِهِمْ فِي كُلِ شَأْنٍ تَشَاؤُهُ ... تَوَسَلْ بِهِمْ تَنَلْ سَرِيعَ الإِجَابَةِ
فَخُذْهُمْ بِنَظْمٍ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ ... عَلَيْهِمْ مِنْ الإِلَهِ أَزْكَى تَحِيَةِ
فَأَوَلُهُمْ فِي الذِّكْرِ شَمْسُ وُجُودِنَا ... وَقُطْبُ نُهَى عُلُومَنَا اللَّدُنِيَةِ
إِلَيْهِ اِنْتَهَتِ رِئَاسَةُ القَوْمِ فَارْتَقَى ... عَلَى صَهَوَاتِ المَجْدِ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ
أَبُو عَابِدِ الإِلَهِ يُسْمَى مُحَمَدًا ... إِلى عَابِدِ الرَّحْمَنِ يُعزى بِنِسْبَةِ
عَلَيْهِ سَلاَمُ اللّه مَا ذَرَّ شَارِقٌ ... وَمَا غَنَّى طَيْرٌ بِاللُغَاتِ الحَنِينَةِ
فَعَنْهُ أَخَذْنَا أَعْنِي عَنْ قَمَرِ الدُّجَى ... وَرِثْنَا طَرِيقَ القَوْمِ دُونَ اسْتِرابَةِ
فَبِالرَاشِدِي إِقْتَدَيَ وَعَنْ الزَرُوقِ اِهْتَدَى ... عَنِ الحَضْرَمِي ثُمَ شَيْخُ القَرَافَةِ
عَنْ اِبْنَ عَطَاءَ اللَّه بَحرِ عُلُومِنَا ... عَنْ المُرْتَضَى المُرسِي أَحْمَدَ حُلَةِ
مَعَارِفُ مِنْهُ لِلْوَرَى وَمَوَاهِبٌ ... فَحَازَ بِهَا مَجْدَ العُلَى والجَلاَلَةِ
إِلَى الشَاذِلِيٌ السَامِي أَبِي الحَسَنْ الذِي ... بَحُوْزَ الكَمَالِ أَضْحَى بَحْرَ الحَقِيقَةِ
عَنِ اِبْنِ مَشِيشٍ قُطْبِ دَائِرَةِ العُلاَ ... عُبَيْدَ السَلاَمِ ذِي العُلُومِ الرَفِيعَةِ
عَنْ المَدَنِي المُرْتَضَى غَوْثَ زَمَانِهِ ... أَبِي يَزِيدِ النحْرِيرِ تَاجُ الأَحِبَّةِ
عَنْ الشَّيْخِ شَيْخُهُ مَرِيدُ شُعَيْبِهِم ... أَبِي أَحْمَدِ السُنِيُ بَدْرُ السَعَادَةِ
عَنْ السَّيِدِ الذِي أَقَرَّ بِفَضْلِهِ ... أَئِمَةُ مَنْ مَضَى مِنْ أَهْلِ الولاَيَةِ
وَمَعَ ذَاكَ أَنَ اللَّهَ أَشْهَرَ ذِكْرَهُ ... كَشُهْرَةِ هَذِي الشَمْسَ مِنْ كُلِ بَلْدَةِ
أَخِي لُذْ بِهِ واصْغِ سَمْعًا لِإِسْمِهِ ... أَبِي مَدْيَنَ إِمَامُ هَذِي الطَرِيقَةِ
لَقَدْ أَخَذَ الأَسْرَارَ عَنْ قُطْبِ غَرْبِنَا ... الإِمَامِ أَبِي يَعْزَى نُورُ البَصِيرَةِ

عَنِ السَّيدِ الأسْمَى الهُمَامَ الذي سَمَا ... أَبِي الحَسَنْ بْنُ حِرْزِهِمْ ذِي الإِغَاثَةِ
عَنِ الشَّيْخِ فَخْرُ الدِّينِ نَاهِيكَ فَخْرُهُ ... أَبِي بَكْرِهِمْ يَحْيَ سِرَاجُ الأَئِمَةِ
عَنِ الشَيْخِ شَيخ الكل سرّ هُداتِهِمْ ... إمام كَفَياضِ البُحُورِ وقُدءوةِ
بِهِ يَسْتَغِيثُ الكُلُّ شَرقًا وَمَغْرِبًا ... أَبِي حَامِدِ الغَزَالِي عَيْنُ العِنَايَةِ
عَنِ السَّيدْ أَبِي المَعَالِي لِأَنَهُ ... إِمَامُ إِلَيْهِ يَنْتَهِي فِي الفَرَاسَةِ
عَنِ الشَيْخِ شَمْسُ الدِينِ ذِي النُصْحِ للوَرَى ... أَبِي طَالِبِ المَكِي نُورُ الولاَيَةِ
عَنِ السَّيدْ المَرضِي فِي كُلِ سَيْرَةٍ ... إِمَامُ الجُرَيْرِي ذِي النُّهَى والنِهَايَةِ
عَنِ الشَّيْخِ تَاجُ العَارِفِينَ رَئِيسِهِم ... أَبِي القَاسِمْ الجُنَيْد رُوحُ المَجَادَةِ
عَن السَرِي السقطِي نَجْلِ مغلسٍ ... عَنِ مَعْرُوفِ الكَرْخِي نَجْمِ الدَلاَلَةِ
إِلَى دَاوُودَ الطَائِي الذي فَاضَ عِلْمُهُ ... عَنِ العَجَمِي حَبِيبَهُم ذِي الإِنَابَةِ
إِلَى الحَسَنْ البَصْرِيّ الذِي فَاقَ نُورُهُ ... نُجُومَ الدّجَى ونُورَ كُلِّ مُنيرَةِ
إِلَى سَيْـــفِ رَبنَا المُهْنَد للعدا ... وبَابِ مَدِينَةِ العُلُومِ الجَلِيلَةِ
أَبِي الحَسَنْ عَلــيُ صِهْـــرُ نَبِينا ... عَلَيْهِ رِضَاءُ اللَّهَ فِي كُلِّ لَمْحَةِ
إِلَى تَاجِ مَنِ أَوْفَى القِيَامَةَ جُمْلَةٌ ... ونُورُهُ عَيْنُ الكَوْنِ مِنْ دُونِ مِريَةِ
مُحَمَدٌ الهَادِي إِلَى النَّاسِ رَحْمَةٌ ... وَمَعْدَنُ أَسْرَارٍ وعُنْصُرُ نِعْمَةِ
عَلَيهِ صَلاَةُ اللَّهِ ثُمَ سَلاَمُهُ ... بِدَالِ دَوامِ المُلْكِ فِي كُلِ لَحْظَةِ
فَعَنْ جِبْرِيلَ الأَمِينَ عَنْ إِسرَافِيلَ قَدَ ... تَلَقَّاهَا مِنْ لَوْحِ مَحْفُوظِ الأَمَانَةِ
عَنْ القَلَمِ المَأْمُورِ بِالخَطِ لِلَذِي ... قَدْ كَانَ وَمَا يَكُونُ فِي كُلِ ذَرَةِ
وَكَــتُلْ بَأَمْـــرِ رَبنَا وَقَضَائِـــهِ ... فَسَلِم وصَدِقْنَّ واحْكِمْ بِصِحةِ
وَإِيَاكَ وَالتَعنِيت وَالحَسَدُ الَذِي ... يُنَافِي الكَمَالَ عَنْ صَمِيمَ العَقِيدَةِ
فَإِنَ مَوَاهِبَ الكَرِيمِ تَعَاظَمَتْ ... لَدَيْنَا مِنْ غَيرِ حَولٍ مِنَا وَقُوَةِ

وَإِنْ قُلْتَ مَا الذِي أَنالَكَ فَضلَهُ ... فَفَضْلُ الإِلَهِ لاَ يُنَالُ بِحَيلَةِ
عَلَى أَنِي للتَقْصِيرِ وَالعُجْزِ حَيْثُمَا ... حَلَلْتُ مُلازِمًا وَفِي كُلِّ حَالَةِ
ولَسْتُ بِذِي نَحْوٍ ولاَ عَروضُ لِمَا ... يَرُومُهُ مِنْ قَرِيضِنَا ذُو الدِرايَةِ
فَعُذْراً لِمَنْ رَامَ اِنْتِقَادَ ظاهِرِنَا ... فَلَمْ نَعُدْ عَنْ أَوْصَافِنَا البَشَرِيَةِ
وَمَنْ رَأَى مِنْ عُيُوبِنَا فَلْيُدارِكْهَا ... بِحِلْمٍ وَلْيُصْلِحْنَهَا بَعْدَ التَثَبُتِ
وَلَوْلاَ الكَرِيمُ جَادَ مَنًّا بِفَضْلِهِ ... لَمَا فَاهَ مِنّا ذُو العُلُومِ بِقَوْلَةِ
وَلَكِنْ سِتْرُ مِنْ مَساوِينا جُملةً ... وَأَظْهَرَ مَا بِهِ النُفُوسُ اطْمَأَنَتِ
لَهُ الحَمْدَ أَوَلاً وَثَانِي كَمِثْلِ مَا ... لَهُ الشّكْرُ عَلَى مَا أَسْدَى مِنْ فَضَلَةِ
قَدْ اِنْتَهَى بِنَا القَوْلُ نَظْمًا فِي كُلِّ مَا ... نُحَاوِلُ مِنْ تَحْصِيلِ جَمْعَ القَصِيدَةِ
وَسَمَيْتُهَا اليَاقُوتَةَ رِفْعًا لِقَدْرِ مَا ... تَسَلْسَلَ فِيهَا مِنْ أَشْيَاخٍ عَدِيدَةِ
مُعَرِّفةً لِشَأْنِهِمْ وَطَرِيقَهَم ... وَأَسْمَائِهِمْ ذَوِي الأَحْوَالِ الشَرِيفَةِ
عَلَيْهِمْ رِضَاءُ رَبِ العَرْشِ بِمِلْءِ ... مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمًا وَأَزْكَى تَحِيَةِ
وأُهْدِي الصَلاَةَ والسَلاَمَ مُسَرْمَداً ... عَلَى كُلِ رُسْلِ اللَّهِ أَهْلُ النُبوءَةِ
وَأَضْعَافَهَا عَلَى النَبِيُ مُحَمَدٍ ... إِمَامُ الرُسُلِ المجتَبَى بِالوَسِيلَةِ
هُوَ النَّبِيُ المَبْعُوثُ لِلْخَلْقِ كُلُهُمُ ... وَحَامِلُ اللِّوَاءِ كَامِلُ الشَفَاعَةِ
وآلِهِ وَالأَصْحَابِ ثُمَ جَمِيعَ مَنْ ... قَفَا نَهْجَهُ القَوِيمَ فِي كُلِ وَجْهَةِ
صَلاَةَ تَمْلأُ الكَوْنَ عَدَدْ وَزْنِهِ ... كَذَا مَا فَوْقَ الفَوْقِ وَأَسْفَلَ ظُلْمَةِ.

# الفهرس


توطئــة ..... 5

*د. بو عبد الله غلام الله*

كلمة السيد: والي ولاية البيض ..... 9

*أ. سليم صمودي*

كلمة السيد: مدير الشؤون الدينية والأوقات لولاية البيض ..... 11

*الحاج محمد الأمير عبد القادر*

الطريقة الشيخية أصولها، أذكارها، انتشارها ..... 15

*أ.د. عبد القادر خليفة – جامعة وهران*

الشيخية بين الدين والسياسة ..... 37

*أ. خليفة بن عمارة – عين الصفراء*

المستشرقون الفرنسيون واختيار مدينة
سيدي الشيخ لدراسة التصوف الإسلامي ..... 53

*الطيب بن إبراهيم*

مميزات عصر سيدي الشيخ ..... 75

*د. مجدوب مساوي – جامعة وهران*

البعد الروحي لمقاومة الشيخ بوعمامة ..... 103

***أ. إدريس بن خويا – الجامعة الإفريقية –أدرار***

البعد الثوري للطريقة الشيخية ودوره في مقاومة
الإحتلال الفرنسي ..... 117

***د. مقلاتي عبد الله – جامعة أدرار***
***د. صالـح لميــش –جامعة المسيلة***

الطريقة الشيخية بمنطقة متليلي الشعانبة ..... 143

***د. سرقمة عاشور – المركز الجامعي غرداية***

الياقوتة ..... 163

***الشيخ عبد القادر بن محمد (سيدي الشيخ)***